

شرح حزب البر الكبير

للشيخ العلامة والبحر الفهامة، قطب المهتدين وإمام الواصلين
العارف بالله تعالى

عبد الرحمن بن محمد الفاسي

أنزل الله عليه سبحانه الرضا



وهو شرح وتعليق على

حزب البر المعروف بالحزب الكبير

للسيد القطب الرباني الشهير والإمام الوارث الحمدي الكبير

أبي الحسن الشاذلي

رضي الله عنه وارضاه، وعمتنا بركاته، وشملتنا نفعاته



ومقدمة

لحضرة صاحب الفضيلة العارف بالله تعالى الدكتور عبد الحليم محمود

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

بارك الله في علمه، وزاده من نوره، وينفع به

راجع الشرح وذيله وكتب مقدمة عن الأحزاب والأوراد وهذا الحزب

محمد عطية خميس

عفا الله عنه وغفر له

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

الناشر

المكتبة الأزهرية للنواد

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

ت ٥١٢٠٨٤٧



منتدی سور الازبکیہ

WWW.BOOKS4ALL.NET

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ
مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

صدق الله العظيم

مقدمة

لحضرة صاحب الفضيلة العارف بالله تعالى
المرحوم الدكتور عبد الحلیم محمود
الأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية
بارك الله في علمه، وزاده من فضله، ونفع به

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

يقول الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ .

وأخرج الإمام البخارى فى صحيحه الحديث القدسى التالى :
« من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » .

وماتقرب إلى عبدى بشىء ، أحب إلى من أداء ما افترضته عليه .

ولايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها .

وإن سألنى أعطيته ولئن استعاذ بى لأعيذنه . . . » .

والتقرب إلى الله بالإكثار من النوافل الذى تكون ثمرته حب الله سبحانه لعبده ، يبدأ فى الوضع الطبيعى بنوافل الركن الأول من أركان الإسلام وهو : « أشهد أن لا إله إلا الله » إنما هى : الذكر والدعاء .

ونوافل أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله إنما هى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والذكر إذاً والدعاء يمثلان أساساً من أهم الأسس فى الطريق إلى الله

سبحانه، ومن أجل ذلك كانت الآثار الكثيرة التي تبين هذه الأهمية.
يقول سبحانه :

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (١).

ويقول سبحانه فى أسلوب كريم رحيم .

﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ (٢).

وأمر الله بكثرة الذكر صريحا فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٣).

وبين الله سبحانه وتعالى بعد هذا الأمر مباشرة أنه سبحانه يوالينا
بوده الكريم وبرأفته الرحيمة وبفضله المتوالى فىقول :

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۖ (٤٢) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا
كَرِيمًا ﴾ (٤).

وكان الله سبحانه وتعالى بذلك ينبهنا إلى أن أدنى درجات العرفان
بالجميل توجب علينا أن نقابل وده ورأفته ورحمته التى تتمثل فى صلاته
علينا من أجل إخراجنا من الظلمات إلى النور.... إن أقل ماينبغى هو أن
نذكره سبحانه وأن نكون على صلة دائمة به . وبين الله سبحانه وتعالى أن
أصحاب العقول المستنيرة إنما هم الذين يجمعون بين الذكر والدعاء .
فيذكرون الله فى كل أوقاتهم ويدعونه فى كل مناسبة ، وموقفهم منه
موقف المتبتل الخاشع الذاكر الداعى .

(٢) سورة البقرة : ١٥٢ .

(٤) الأحزاب : ٤٣ ، ٤٤ .

(١) سورة العنكبوت : ٤٥ بعضا منها .

(٣) الأحزاب : ٤١ - ٤٢ .

يقول سبحانه :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (١).

والذكر طمأنينة للقلب :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٢).

ويأمر الله أمراً صريحاً بالصلاة على رسوله ﷺ فيقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣). والصلاة على رسول الله ﷺ ذكر من أجمل أنواع الذكر.

وفي الدعاء يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٤).

(٢) سورة الرعد : ٢٨ .

(١) سورة آل عمران من ١٩٠ - ١٩٤ .

(٤) سورة البقرة : ١٨٦ .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦ .

وقال تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى :

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى :

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٣).

وقال سبحانه :

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٤) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤).

ولقد استفاض رسول الله ﷺ في الحديث عن الذكر وعن الدعاء فكان مما قال في الذكر :

فقد أخرج الإمام البخارى، رضى الله عنه، من حديث قتادة، عن رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربه قال :

(٢) سورة النمل : ٦٢ .
(٤) سورة الأعراف : ٥٥ - ٥٦ .

(١) سورة غافر : ٦٠ .
(٣) سورة النساء : ٣٢ .

قال الله عز وجل : « يا ابن آدم، إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملاً ذكرتك في ملاً خيراً منه، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً، وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً، وإن أتيتني تمشي أتيتك هرولة» .

ومن السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله :
« رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله» .

وروى البيهقي في شعب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب : قال الله عز وجل :

« من شغله ذكرى عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» .

وقال رسول الله ﷺ، فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة :
« ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده» .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

يقول الله : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملاً ذكرته في ملاً خيراً منهم وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيت به هرولة»^(١) .

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« قال الله جل ذكره . لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملاً من ملائكتي ولا يذكرني في ملاً إلا ذكرته في الملاً الأعلى»^(٢) .

(١) رواه البخارى ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، ورواه أحمد نحوه بإسناد صحيح، وزاد فى آخره قال قتادة «والله أسرع بالمغفرة» .

(٢) رواه الطبرى بإسناد حسن .

شرح حزب البر الكبير

للشيخ العلامة والبحر الفهامة، قطب المهتدين وإمام الواصلين
العارف بالله تعالى

محبط الرحمن بن محمد الفاسي

أنزل الله عليه سحائب الرضا



وهو شرح وتعليق على
حزب البر المعروف بالحزب الكبير
للسيد القطب الرباني الشهير والإمام الوارث الحمدي الكبير

أبي الحسن الشاذلي

رضى الله عنه وارضاه، وعمتنا بركاته، وشملتنا نفعاته



ومقدمة

لحضرة صاحب الفضيلة العارف بالله تعالى الدكتور عبد الحلیم محمود

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

بارك الله في علمه، وزاده من نوره، ونفع به

راجع الشرح وذيله وكتب مقدمة عن «الأحزاب والأوراد وهذا الحزب»

محمد عطية خميس

عفا الله عنه وغفر له

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

الناشر

المكتبة الأزهرية للنراث

٩ درب الأترار خلف الجامع الأزهر الشريف ت : ٥١٢٠٨٤٧

وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه، أن رجلا قال : يارسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرني بشيء أتشبث به، قال :

« لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله »^(١).

ولقد روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« من صلى على صلاة، صلى الله عليه بها عشرا »

وعن ابن مسعود رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال :

« أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة ».

وعن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على »

وكان مما قال فى الدعاء :

عن أبى هريرة رضى الله عنه - فيما أخرجه الإمام أحمد، والترمذى - عن النبى ﷺ قال : « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء ».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض ».

وعن النعمان بن بشير، رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « الدعاء هو العبادة »، ثم قرأ :

﴿ نَالِ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾^(٢).

(١) رواه الترمذى، واللفظ له، وقال : حديث حسن غريب، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم، وقال : صحيح الإسناد.

(٢) رواه أبو داود والترمذى، وقال حديث صحيح.

وروى عن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء مُخُّ العبادة» رواه الترمذى .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال :
« ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله تعالى إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » فقال رجل من القوم: «إذن نكثر» قال: «الله أكثر» رواه الترمذى، والحاكم .

وعن أبى هريرة، رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :
« ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل فى مسألة إلا أعطاه إياه . إما أن يعجلها له، وإما أن يدخرها له فى الآخرة»^(١) .

ومن أجل ذلك يقول الإمام القشيري، معبرا عن رأى الصوفية جميعا:
«والذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة فى هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر» .

ويقول الإمام القشيري أيضاً معبرا عن رأى الصوفية جميعا .
«ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله فيه : إما فرضا، وإما ندبا، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات، فقد لا تجوز فى بعض الأوقات، والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات» اهـ

ولذلك كان الذكر وكان الدعاء من أول ما يتوجه إليه الصوفية، ويوجهون المريدين إليه .

لقد جرب الصوفية فضل الذكر، وجربوا فضل الدعاء، فاتجهوا اتجاها قويا إليهما: إنهم يتفياون فيهما الظلال، ويستروحون فى رياضهما

(١) رواه أحمد رضى الله عنه .

ويتنسمون فيهما ريح الجنة .

ولقد اتخذوا الذكر والدعاء شعارا ودارا، واتخذوهما رياضة وارتياضا واتخذوهما أورادا وأحزابا .

وتفننوا فيهما ملهين ومستبصرين، وألفوا فيهما على أساس من نور الله ومن هديه، واشتهرت لهم في ذلك أحزاب، وأوراد معينة جميلة موفقة، رائقة مشرقة، لها أريج العطر وعبير الزهور .

ومن أشهر ما عرف من ذلك أحزاب الإمام الكبير والقطب الغوث الفرد الشهير: أبي الحسن الشاذلي رضى الله عنه، وأرضاه، وأنزله من درجات القرب والرضا بمقعد صدق، وأناله من الثواب على ما قدم من خير وما حقق من عبودية، ماهو أهل به وله، وما يتناسب مع الكرم الإلهي .

لقد حقق أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه العبودية إلى درجة نادرة، ووقفه الله في ذلك إلى ما يعز على من رامه إلا بتوفيق من الله .

لقد أسهر ليله، وصام نهاره، وانغمس في مقام الفناء في الله، فكان قيامه به سبحانه وأعماله خالصة لوجهه الكريم، وحياته تركزت في الدعوة إليه سبحانه .

دعوة إليه بسلوكه ، ودعوة إليه بقوله، ودعوة إليه بحاله .

لقد جاهد نفسه حتى تزكت وامتلك أمر هواه، فجعله تابعا لما جاء به رسول الله ﷺ، وسيطر على نفسه حتى قادها إلى أن تكون راضية مرضية مطمئنة، مسترسلة مع الله سبحانه على ما يحب، وعلى ما يريد .

ولقد ألف أحزابه بعد أن وصل إلى درجة القرب من الله، فهي أحزاب عليها طابع الإلهام، وفيها سمة البصيرة، استمدها بتوفيق من الله وبتوجيه منه واستلهمها من الكتاب الكريم، ومن سنة الرسول صاحب الخلق العظيم، فكانت مجموعة من الأنوار تتسم بالعبودية في أجمل

صورة من صور العبودية. إنها تضرع وتبتل وخشية، وهي توبة وإنابة والتجاء إلى الله في طلب المغفرة والعون.

ومن أجل هذه السمات التي اتسمت بها، سارت مسير الشمس شرقاً وغرباً يحفظها الموفقون ويتلوها المریدون.

وكان لأسلوبها الجميل الفصيح الجزل، ولعانيها الرائقة الصافية الوضاعة وجوها اللألاء أثر كبير في ذبوعها وانتشارها.

وإن من أجمل هذه الأحزاب واسماها - وكلها جميل سام - حزب البر الذي قال عنه الإمام الشاذلي: من قرأ حزبنا فله مالنا وعليه ما علينا.

ولقد فتن هذا الحزب بأنواره الفياضة كثرة كثيرة من ذوى الأرواح الطاهرة فتناولوه بالتلاوة والتأمل، واستجابوا لما فيه من مواعظ وتوجيهات، واستعملوا بعض أدعيته كلما وجدوا المناسبة.

وشرحه كثير من العلماء، القدماء منهم والمحدثون، منهم الفيروزآبادي، ومنهم العارف بالله الشيخ الشبراوي.

واتسمت شروح هذا الحزب المبارك بالتوفيق، وبدا عليها إشراقة النور، وكان لشرح الشيخ الفاسي مكانة مرموقة بين هذه الشروح، ولا عجب في ذلك فإنه رضى الله عنه سلك الطريق الشاذلي، فوصل فيه إلى القمة علماً وعملاً، وأثمرت معالجته للطريق في الجانب السلوكي بصيرة ونوراً فأخذ يدعو إلى الله على بصيرة وكرس حياته لتكون في سبيل الله، وكان هذا الشرح من ثمار النور، وكان مواصلة للدعوة وامتداداً لها، حتى بعد أن انتقل صاحبها إلى رضوان الله.

ولقد كان من توفيق الله تعالى أن قام على تحقيق هذا الشرح، والتعليق عليه وتقديمه للطبع الأخ الفاضل، العالم الصالح، الأستاذ عطية خميس.

والأستاذ عطية خميس، له مجاله الكبير في الدعوة الإسلامية، في صورتها السليمة الصادقة .

يعرف منه ذلك كل المتصلين به، فهو لا يدع فرصة في سبيل الخير والحق إلا وسارع إلى تحقيقها، وهو دائم البحث والدراسة في أمهات الكتب الدينية .

ويعرفه أصدقاؤه دقيقا في أبحاثه، دقيقا في آرائه، مترويا في كل مايقول، وفي كل مايعمل، فجزاه الله عن الجهاد في سبيل الدعوة خير الجزاء .

ولقد كان من توفيق الله أن يتعاون الرجل الصالح، والتاجر الصدوق السيد عبد الوهاب مصطفى ميتكيس، مع الأخ عطية خميس في العمل على إظهار هذا الكتاب إلى عالم النور، في صورة موفقة إن شاء الله .

والله نرجو أن يوفقهما دائما إلى صالح الأعمال، وأن يحقق على أيديهما بالعلم والمال - بعض المشاريع الدينية الكبرى .

وصلى الله على سيدنا محمد الذي يرتشف من بحاره كل ظمآن، ويهتدى بنبراسه كل حيران الذي أعطاه الله جوامع الكلم، وبعثه ليتمم مكارم الأخلاق وأرسله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين، وسلم .

عبد الخليل محمود

بحث وتقديم :

حول الأوراد والأجزاب
وهذا الحزب... وهذا الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، إذا أحب عبداً أكرمه بذكره وعبادته وطاعته،
وإذا أبغض عبداً شغله بالدنيا، فأنصرف عن ذكره وعبادته وطاعته .. له
الحمد سبحانه، هدانا إلى طريقه القويم، وصراطه المستقيم فنادانا تفضلاً
منه وكرماً ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ .

والصلاة والسلام على أول خلق الله وخاتم رسل الله، سيدنا محمد،
الرسول المجتبي، والحبيب المصطفى، أفضل من دعا على بصيرة إلى الله،
وعلى آله وصحبه الذين مهدوا طريق السلوك، لكل من أراد لقاء مولاه .

بداية قصتنا مع «حزب البر» :

منذ سنوات ، كنت جالساً مع الأخ الصالح التقى ، التاجر المؤمن الصادق السيد / عبد الوهاب مصطفى ميتكيس ، وروى لى أنه رأى فى نومه السيد الولى الصالح العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب حسنين الحصافى رضى الله عنه ، فطلب منه - أى الأخ الكريم - كتاباً ، فأشار الشيخ إلى مكتب عليه مجموعة كتب ، فأخذ أخونا نسخة منها ، فإذا به يجد مكتوباً على غلافه بحروف مضيئة (أقرب المسالك) ففتح غلاف الكتاب فإذا به يجد فى أول الكتاب سفينة^(١) ثم مجموعة أحزاب منها حزب البر وحزب البحر .

فعدت أخى العزم على طبع كتاب يحوى هذه الأحزاب الثلاثة ، يوزعه ابتغاء مرضاة الله ، وتحملت شرف الإشراف على تنظيم وإخراج وطبع هذا الكتاب ، ورأيت ألا أقتصر على طبع هذه الأحزاب وحدها ، ولكننى - زيادة فى التعريف بهذه الأحزاب - قدمت ترجمة موجزة لصاحبى هذه الأحزاب ، وأوضحت فضائل هذه الأحزاب وبركتها .

وبينما كنت أفكر فى عنوان لهذه المجموعة ، زرت الأخ الكريم فروى لى أنه رأى فى منامه بساطاً مطويّاً ملفوفاً ، فأخذ يشده ليبسطه ، وكلمة شده ، كلما امتد معه البساط وكأنه لا نهاية له .. وإذا به يرى - وهو على هذه الحال - الولى الصالح العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب حسنين الحصافى ينظر إليه ، ويقول له « كلما شددت البساط سيمتد معك » .

وعلى الفور ، خطر لى أن أعنون المجموعة التى أعددتها بـ «بساط الخير والرجاء فى فضائل حزب البر وحزب البحر وسفينة النجاة لمن إلى الله التجأ» .

(١) سفينة النجاة هى الوظيفة الزرورية للشيخ أحمد زروق رضى الله عنه .

وخرج الكتاب من المطبعة، وتلقفه الأحباب، وأقبل الكثيرون على تلاوة هذه الأحزاب.. حتى اضطررنا بعد هذا إلى إعادة طبع هذه الأحزاب وحدها ثلاث مرات تحت عنوان «أقرب المسالك : حزب البر وحزب البحر وسفينة النجاة لمن إلي الله التجا».. وهكذا بدا الأمر أنه فعلاً «بساط» يمتد وينتشر. وأقبل عليه الكثيرون ليستروحوا في رحابه.

وفي مسجد مولانا الإمام الحسين رضى الله عنه، يواظب بعض «الفقراء» أى المتصرفين، بعد صلاة الفجر، على مطالعة «حزب البر» وكثيراً ما أجلس معهم أردد هذا الحزب.

وفي يوم رحلت ألتمس شرحاً لهذا الحزب الكبير، حتى أقف على كثير من معانيه العالية المشرقة، وبالرغم من أن أكثر من كتاب قد ألف في شرح هذا الحزب^(١)، إلا أنني لم أعثر على شرح واحد، لا فى دار الكتب، ولا فى المكتبات العامة. فعزمت على أن أقدم بنفسى على شرح هذا الحزب ودراسته، وأقدمت على هذه الخطوة بجرأة، ولكن كنت فى نفس الوقت هيأاً بالنسبة لها.

وأراد الله عز وجل، أن ييسر لى الأمر ويخفف عنى العبء، فحمل إلى واحد من إخوانى شرحين لهذا الحزب أحدهما شرح الشيخ عبد الرحمن الفاسى رضى الله عنه والآخر شرح الشيخ مرتضى الزبيدى صاحب القاموس رضى الله عنه.

(١) شرح هذا الحزب عبد النور العمرانى والبنانى، فكل منهما وضع كتاباً باسم «شرح الحزب الكبير» وللشيخ أحمد زروق «مفاتيح العز والنصر بشرح حزب البر والبحر» وللشيخ محمد البهى المصرى كتاب مخطوط «التحفة البهية والدرة النقية» وللشيخ عمر الشبراوى «تنوير الصدر بشرح حزب البر» وللشيخ أبى المحاسن القاوقجى «البدر المنير بشرح الحزب الكبير» طبعة سنة ١٣٠٥ هـ- وللسيد مرتضى الحسينى الزبيدى شارح القاموس «تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير».

فما أن قرأت شرح الفاسى، حتى عزمت على طبعه ونشره، مذيلاً ببعض التعليقات والإيضاحات، وها هو ذا أقدمه للقراء الأفاضل، حتى يعرف الأحباب الشاذليون وغير الشاذلين، جواهر الدعوات التى تحملها كلمات وعبارات هذا الحزب، وحتى ينهل قراء هذا الحزب دروسه العالية، فتكون ماثلة فى أفئدتهم وهم يقرأونه، وتكون مناراً لهم فى سلوكهم وحياتهم.

شرعية الأحزاب والأوراد :

وقد يتساءل البعض .. هل للأحزاب والأوراد سند من الشرع الخفيف؟ هل كانت موجودة على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد صحابته؟ وإن لم تكن موجودة فى عهودهم فكيف نجيزها وندعو لها؟

هذا اعتراض يثيره كثيراً خصوم التصوف .. ولذا رأينا أن نعرض فى هذه المقدمة لبحث شرعية الأحزاب والأوراد.

أحزاب القرآن وأوراده :

من المأثور عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يحزبون القرآن الكريم، أى يقرأونه أحزاباً. فقد روى فى حديث متفق عليه أن النبى ﷺ أمر عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن يختم القرآن فى كل سبع - وكان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يختمون القرآن فى كل جمعة، كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبى بن كعب رضى الله عنهم.

ووردت أحاديث كثيرة فى اتخاذ بعض الآيات الكريمة وبعض السور أوراداً فى أوقات مختلفة فقد وردت الأحاديث الكثيرة فى فضل قراءة آية الكرسي بعد الصلوات .. وعند النوم ...

ووردت أحاديث تحث على اتخاذ بعض السور والآيات أوراداً يومية، كسورة يس كل صباح وكل مساء... وسورة الواقعة كل ليلة .. وخواتيم

سورتى البقرة والكهف قبل النوم .

ووردت أحاديث تحث على اتخاذ بعض السور أوراداً أسبوعية ، كسورة
الدخان ليلة الجمعة ... وسورة الكهف ليلة الجمعة أو يومها .

أوراد نبوية :

وفى السنة الشريفة أوراد عديدة ، ومن يراجع كتب الأذكار ، وأبواب
الدعاء يجد أن النبي ﷺ كانت له دعوات مأثورة ... حين يستيقظ من
نومه وقبل صلواته .. وبعد صلواته .. وحين يسعى إلى المسجد .. وحين
يدخل المسجد .. وهكذا كانت له ﷺ دعوات ، يمكن أن نسميها أورادا
نبوية .

وكثيرا ما شكأ إليه بعض المسلمين من أمور كانت تعترضهم ،
فكان ﷺ يلقنهم أذكارا ودعوات معينة ، وطلب منهم أن يواظبوا عليها .
كالرجل الذى شكأ إليه الفقير ، فقال له ﷺ ... إذا دخلت إلى منزلك
فسلم ، إن كان فيه أحد أو لم يكن فيه أحد ، ثم صل وسلم على ، وقرأ قل
هو الله أحد مرة ، ففعل الرجل مدة فأدر الله عليه الرزق حتى أفاء على
جيرانه .

أوراد للصحابة :

وكان الكثيرون من الصحابة رضوان الله عليهم يتخذون أورادا لهم ..
إما بدعوات خاصة لقتها لهم رسول الله ﷺ ، فواظبوا عليها ، كالدعاء
الذى علمه رسول الله ﷺ للسيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها
وكالدعاء الذى علمه الرسول ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه ... وإما
بدعوات ألهمها بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، كدعاء أبى ذر رضى
الله عنه « اللهم إنى أسألك إيمانا دائما ... » وهو دعاء خاتمة الفرج الذى
تضمنه حزب البر ، والذى أشير إليه فى هذا الشرح .. وكدعاء أبى الدرداء
رضى الله عنه ..

أحزاب وأوراد العارفين :

وما أحزاب وأوراد العارفين إلا مجموعة أذكار وأدعية .. وقد حث القرآن الكريم في كثير من آياته على ذكر الله وعلى الدعاء .. وكذلك حث رسول الله ﷺ في كثير من أحاديثه الشريفة على الإكثار من ذكر الله تعالى ودعائه وسؤاله والابتهاال إليه . والأحزاب والأوراد ماهي إلا أذكارا ودعوات .

يقول صاحب المفاخر العلية :

«اعلم أن حقيقة الحزب هو الورد الوارد المعمول به تعبداً ونحوه . وهو في الاصطلاح مجموع أذكار وأدعية . وتوجيهات وضعت للذكر والتذكر والتعوذ من الشر وطلب الخير واستنتاج المعارف وحصول العلم مع جمع القلب على الله ولم تكن في الصدر الأول ولا من بعدهم بقليل ، لكن جرت على أيدي المشايخ الصوفية وصالحى الأمة بحكم التصرف والنظر السديد ...»

ونضيف أن الجو الإسلامى كان مسيطراً على الناس ، وكانت القلوب تفيض بالإيمان ، وكان اللسان العربى شائعاً ، يؤدى عن القلب إحساساته مع المحفوظ بالتوارث من الدعاء النبوى وتوجيهات الصحابة والتابعين .. وهى كلها أصول الأحزاب والأوراد .

ويقول الشيخ الإمام الصالح أحمد بن زروق فى كتابه قواعد التصوف تحت القاعدة رقم ١٠٨ :

«بساط الشريعة قاضٍ بجواز الأخذ بما اتضح معناه من الأذكار والأدعية وإن لم يصح رواية ، كما نبه عليه ابن العربى فى السراج وغيره .

«وجاءت أحاديث فى تأثير الدعاء الجارى على لسان العبد والمنبعث من همته حتى أدخل مالك رحمه الله فى موطئه فى باب دعائه عليه

السلام قول أبى الدرداء « نامت العيون وهدأت الجفون ولم يبق إلا أنت يا حى يا قيوم » وقال عليه السلام للذى دعا به « إنى أسألك بأنك الله الأحد الصمد » الخ... لقد دعوت الله باسمه الأعظم.

وكذا قال للذى دعا به « ياودود ياودود، ياذا العرش المجيد » إلى غير ذلك.

فدل على أن كل واضح فى معناه، مستحسن فى ذاته يحسن الأخذ به، سيما إذا استند به لأصل شرعى، كرؤيا صالحة، أو إلهام ثابت المزينة كأحزاب الشاذلى والنوى ونحوهما.

« وفى أحزاب ابن سبعين كثير من المبهمات والموهومات فوجب التجنب جملة كمحل الحظر، إلا لعالم يعتبر المعنى فلا يتقيد باللفظ فيه.

« والوظائف المجموعة من الحديث، أكمل أمرا، إذ لا زيادة فيها، سوى الجمع، سيما إن أخذت من المشايخ.

« وجل أحزاب الشاذلى - عند التفصيل والنظر التام للعالم بالأحاديث من ذلك والله أعلم»

انتهى ماقاله الشيخ أحمد زروق رضى الله عنه .

إذا... فلأحزاب والأوراد سندها الشرعى فهى تدخل فى باب الذكر والدعاء.

وقد كتب فضيلة الأخ الكبير الجليل، رائد الدعوة الصوفية، والعالم العابد الولى الصالح التقى الأستاذ الشيخ محمد زكى إبراهيم بحثنا قيما عن أهل الذكر فساق استدلالا على شرعية الأحزاب والأوراد كالأموار الآتية^(١).

(١) مجلة المسلم، عدد جمادى الآخرة ١٣٨٨، العدد ١١ - السنة ١٨.

(الأول) : أن النبي سمع بأذنه من يدعو بغير المأثور عنه، ثم لم ينكر عليه، لا تصرّيحاً ولا تلويحاً، لا بالعبارة ولا بالإشارة فالإنكار اليوم على ذلك بدعة مستقبحة .

(الثاني) : أن النبي أقر هذا الاجتهاد في الدعاء وحبذه بشأنه وكافاً عليه، وبذلك ندب أو أباح على الأقل الاجتهاد في الدعاء بنحو الأحزاب والأوراد وجعله سنة إقرارية، أخذ بها الصحابة والتابعون، وخاصة السلف رضی الله عنهم .

(الثالث) : إنه بناء على ذلك يجوز لمن يستطيع ولن لا يستطيع التعبد بالمأثور أن يتعبد بغير المأثور من أوراد وأحزاب ومدائح وموالد وغيرها من مؤلفات الصالحين، منظومة ومنثورة، وهو موقن مطمئن متأكد - بإذن الله - من الصواب والثواب .

ثم إنه لا بأس على العالم بالمأثور أن يضيف إليه ما شاء من غيره، جمعاً بين الأفضل والفاضل، وقد التزم كثير من ساداتنا البدء بالمأثور ثم التعقيب عليه بما يفتح به الله، والأعمال بالنيات والتوفيق من الله» اهـ .

وظائف الأوراد والأحزاب :

قال صاحب «المفاخر العلية» موضحاً الغرض والقصد من الأحزاب والأوراد :

« ولم تكن - أي الأحزاب والأوراد - في الصدر الأول ولا من بعدهم بقليل، لكن جرت على أيدي المشايخ الصوفية وصالحى الأمة، بحكم التصرف والنظر السديد .. إشغالا للطلاب .. وإعانة للمريدين .. وتقوية للمحبين ... وحرمة للمنتسبين .. وترقية للمتوجهين من العباد والزهاد، وأهل الطاعة والسداد .. وفتحاً للباب حتى يدخله عوام المؤمنين .. لما رأوا قصر الهمم، وضعف العزائم وبعد النيات، ونقص القرائح، واستيلاء الغفلة، ومرض القلوب وقلة اليقين . وأحزاب أهل الكمال ممزوجة

بأحوالهم، مؤيدة بعلومهم، مسددة بإلهامهم، مصحوبة بكراماتهم، حتى قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه فى شأن حزبه الكبير «من قرأه كان له ما لنا وعليه ما علينا».

فالأوراد والأحزاب، يمكن تلخيص وظائفها فى ثلاثة أمور :
التعليم والتيسير .. والتربية .. والترقية .

١ - «تعليم الطالبين» بالتيسير عليهم فى دعائهم، بوضع أدعية «مختارة» بين أيديهم . فقد جاء فى حديث ابن مسعود : «التفت إينا رسول الله ﷺ فقال : إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله (إلخ) ثم (ليتخير) من الدعاء أعجبه إليه فيدعو» متفق عليه واللفظ للبخارى .
وقد أخرج أبو داود بسند جيد عن بعض الصحابة أن النبى ﷺ قال لرجل :

- كيف تقول فى الصلاة؟

قال الرجل : أتشهد ثم أقول اللهم إنى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار .. أما إنى لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ .

فقال النبى ﷺ : حول ذلك ندندن أنا ومعاذ .

فالأحزاب والأوراد تيسر على الطالبين الدعاء وتعلمهم كيفية الدعاء، وتضع بين أيديهم أدعية مختارة، فيعرفون كيف يدعون . وهى أدعية جميعها مستقاة من القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ ، إن لم تكن باللفظ فهى بالمعنى . إذ أن العارف بالله تعالى مثله مثل النحلة الدءوب التى تتغذى برحيق الأزهار المختلفة، ثم تخرج هذا الرحيق شهداً طيباً شهياً، جميل الرائحة، حلو المذاق .

فالعارف بالله تعالى، يطير بجناحي محبة الله ورسوله، يتغذى من أزهار القرآن الكريم، والسنة الشريفة، ثم يعالج كل هذا فى نفسه أحوالاً

ومقامات، وأشواقاً ومواجيداً، ورياضات ومجاهدات، وعلوماً ومعارف، وإلهامات ومكاشفات، ثم يقدم ثمرة كل هذا شهداً طيباً شهياً، أوراذاً وأحزاباً، جميلة العبارات، حلوة المعاني، فاتحة لشهية الذكر، مغذية للروح، مقوية للقلب.

٢ - تربية الطالبين والمريدين والمحبين، بشغلهم بالذكر، وإعانتهم على رياضة النفس وتطهير القلب، وتقوية أرواحهم.

٣ - ترقية المتوجهين من العباد والزهاد وأهل الطاعة والسداد.. لأن أحزاب العارفين بالله ممزوجة بأحوالهم مسددة بإلهامهم، مصحوبة بكراماتهم.

« وكثير من العارفين يؤكدون أنهم تلقوا أحزابهم من معين الصفاء بطريق الإلهام، إما في منامهم أو في يقظتهم، بل إن منهم من أكد أنه كان يقرأ أحزابه مكتوبة على صفحات الكون، فوعاها وألهم معانيها، ثم صاغها بعبارته الخاصة»^(١).

هل هناك ضرورة للإذن لتلاوة الأحزاب؟

كثيراً ما يتساءل بعض المريدين: هل يجوز للمريد أن يقرأ أحزاباً أو ورداً بدون إذن من شيخ ناصح مأذون له؟

أصل الإذن من قوله تعالى ﴿وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾.

فالدعوة إلى طريق الله لا بد أن تكون بإذن من الله. والشيخ الذي يلقي المريد القياد له، يجب أن يكون مأذوناً له بالإرشاد.. ومن هنا قيل إن الحزب يجب أن يقرأ بإذن.. ولكن..

(١) أبو الحسن الشاذلي لعلی سالم عمار ج ٢، ص ١٧٣.

ولكن هذا القول لا يؤخذ على إطلاقه، إذ أن القصد من قراءة الحزب أو الورد قد يكون أحد ثلاثة :

إما التعبد .. بالدعاء
وإما التبرك بصاحب الحزب
وإما السلوك والترقية ..

والإذن ليس ضرورياً إلا إذا كان القصد من تلاوة الحزب السلوك والترقية، حتى تكون هناك صلة بين المسلك وطالب التسليك .. أما إذا كان القصد مجرد التعبد والتبرك، فلا ضرورة لهذا الإذن ..

ولكن .. هناك أحزاب وأوراد معينة، لا يجوز قراءتها إلا بإذن، وهي الأحزاب والأوراد التي وضعت للتصرف في بعض الأمور العارضات .. وقد قال مشايخنا رضوان الله عليهم مثلاً إن «حزب النصر» للشيخ أبي الحسن الشاذلي لا يقرأ إلا بإذن .. وكذلك «عدية يس» إذ أن كثيراً ما يقصد بقراءتها إيذاء الغير والانتقام منه .. وكذلك هناك أحزاب اشترط أصحابها ألا تقرأ إلا بإذن، فيجب احترام شرطهم .

ولما كان حزب البر، ليس من الأحزاب المقصود بها التصريف، فيمكن لكل طالب أن يقرأه، وخاصة أن الإمام أبا الحسن رضى الله عنه قد أذن إذناً عاماً بقراءته، بأن قال : من قرأ حزينا كان منا، له ما لنا وعليه ما علينا .

مكانة أحزاب الإمام أبي الحسن الشاذلي :

وأحزاب إمامنا أبي الحسن الشاذلي رضى الله عنه من أشهر أحزاب العارفين بالله، التي عرف قدرها المبتدؤون والواصلون .. ويقول ابن عباد الشافعي (صاحب المفاخر العلية) في شأنها :

«واعلم أن أحزاب الشيخ رضى الله عنه جامعة بين إفادة العلم وآداب التوحيد، وتعريف الطريقة، وتلويح الحقيقة، وذكر جلال الله تعالى وعظمته وكبريائه، وذكر حقارة النفس وخستها والتنبيه على خداعها وغوايتها، والإشارة لوصف الدنيا والخلق، وطريق الفرار من ذلك ووجه حصوله، والتذكر بالذنوب والعيوب، والتنصل منها مع الدلالة على خاص التوحيد وخالصه، واتباع الشرع ومطالبه، فهى تعليم فى قالب التوجه، وتوجه فى قالب التعليم، من نظرها من حيث العلم وجده كامناً فيها، ومن نظرها من حيث العمل فهى عينه، ومن نظرها من حيث الحال وجده كامناً فيها، وقد شهد شاهدها بذلك عند الخاص العام، فلا يسمع أحد من كلامها شيئاً إلا وجد له أثراً فى نفسه، ولا يقرؤها إلا كان مثل ذلك، ما لم يكن مشغولاً ببلوى أو مشغولاً بدنيا، أو مصروفاً بدعوى، أعاذنا الله تعالى من البلاء».

مكانة حزب البر:

وإذا كانت أحزاب الشيخ رضى الله عنه تمتاز عامة بهذه الإشارات والتوجيهات، والآثار والأحوال، فإن حزب البر بصفة خاصة تظهر فيه كل هذه المعانى والإشارات والأحوال والمقامات، ولذا اهتم به شيوخنا الأجلاء ووضعوا فيه الشروح الكثيرة..

ولا غرو أن يكون لحزب البر هذه المكانة، فهو الحزب الذى قال فيه الشيخ رضى الله عنه:

- والله ما وضعت فيه حرفاً إلا بإذن من ربى، وأمر من رسول الله ﷺ.
- من قرأ حزبنا فله ما لنا وعليه ما علينا^(١).

(١) أى له ما لنا من الحرمة، وعليه ما علينا من الرحمة.

- له سر عظيم فى كل شىء لا يعلمه إلا الله .

ولقد لفت هذا الحزب اهتمام الأدباء، الذين يهتمون بقوة التعبير، وحسن التصوير، وجمال التفكير، فراحوا يدرسونه من ناحية جزالة اللفظ، وبلاغة العبارة، وسمو المعنى، فقال الدكتور زكى مبارك^(١) :

« وسنكتفى بالكلام عن الأحزاب بحزب البر «الحزب الكبير للشاذلى» وهو فى رأينا أفضل الأحزاب من حيث اللفظ والمعنى، فهو تحفة فنية قليلة النظر، وهو فى معناه قوة روحية وعقلية عديمة المثال» .

ثم يقول زكى مبارك عن بعض فقرات هذا الحزب :

«إنها خير ما أنتجت القرائح، ولا يفتنى ما فيها من قوة المعنى وطرافة الخيال...» .

إلى أن قال :

«وبالجمله فإن فقرات الحزب تحتوى على دقائق الأسرار والإشارات التى لا يفهمها إلا كبار الحكماء» .

ثم أهاب بالمشقفين والعاديين أن يقرأوا هذا الحزب، وأن يتدبروا ما فى فقراته من المعانى الرائعة، والدقائق الروحية الفائقة العالوية .

شرح عبد الرحمن الفاسى :

ومن اهتم بشرح حزب البر، الشيخ العلامة، والبحر الفهامة، قطب المهتدين وإمام الواصلين، العارف بالله تعالى السيد عبد الرحمن بن محمد الفاسى رضى الله تعالى عنه وأسكنه فسيح جناته، وأنزل عليه سبحانه الرضا .

(١) كتاب التصرف الإسلامى وصلته بالأدب والأخلاق، ج ٢، ص ٩٢ .

وقد فض الشيخ عبد الرحمن الفاسى رضى الله عنه، أصداف هذا الحزب، وأبان ما يحويه من جواهر المعانى، وكنوز التصوف والسلوك ويمتاز هذا الشرح بالإشراقات التى فتح بها الله على صاحبها.. ولاغرو فهو من شيوخ الطريق ومن كبار أقطاب السلسلة الشاذلية.. فقد تلقى الطريق عن سيدى عبد الله الفاسى عن سيدى يوسف الفاسى.. عن سيدى عبد الرحمن المجذوب.. عن سيدى على الصنهاجى.. عن سيدى إبراهيم الفحام.. عن البحر الدفوق سيدى أحمد زروق عن سيدى أحمد ابن عقبة الحضرمى.. عن سيدى الشريف القادرى.. عن سيدى على وفا.. عن والده بحر الصفا سيدى محمد وفا.. عن سيدى داود الباخلى.. عن سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى صاحب الحكم.. عن سيدى أحمد أبى العباس المرسى.. عن سيدى على أبى الحسن الشاذلى.. عن سيدى عبد السلام بن مشيش.. عن سيدى عبد الرحمن المدنى العطار.. عن تقى الدين الفقير.. عن سيدى فخر الدين.. عن سيدى نور أبى الحسن.. عن سيدى تاج الدين.. عن سيدى شمس الدين بأرض الترك.. عن سيدى زين الدين القزوينى.. عن سيدى إبراهيم البصرى.. عن أبى القاسم بن مروان.. عن أبى محمد فتح السعود.. عن أبى محمد سعيد الغزوانى.. عن سيدى أبى محمد جابر.. عن السبط الشهيد سيدنا الحسن ابن الإمام على بن أبى طالب.. عن والده الإمام على كرم الله وجهه.. عن صفوة خلق الله سيدتنا ومولانا محمد بن عبد الله أول خلق الله وخاتم أنبياء الله، وأكمل رسل الله وأشفع مشفع عند الله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه^(١).

وهذا الشرح سبق أن طبع من قبل فى عام ١٣٣٣ هجرية وقد رأينا أن نقدمه فى صورة جديدة تيسر على القارئ وتعين الباحث فجزأناه فى

(١) هذه السلسلة نقلناها عن كتاب السبيل الواضح للعارف بالله تعالى الشيخ حسنين الحصافى رضى الله عنه.

فصول، وأوضحنا في مقدمة كل فصل ما يحويه من نقاط وبحث.. ثم رأينا أن الشرح في ذاته يحتاج إلى تعليق في كثير من المواطن، نوضح فيه ما غمض من معانٍ وما أوجز من إشارات إلى غير ذلك من التعليقات التي ذيلنا بها هذا الشرح.

ونرجو أن نكون بهذا العمل، قد قدمنا لأحبابنا من المتصوفين عامة والشاذلية خاصة، نبراسا كان الكثيرون يفتقدونه، ليروا في نوره ما يحتويه حزب البر من اللآلئ والجواهر والكنوز.. هذا النبراس الذي أضاءه وقدمه الشيخ القطب الولي عبد الرحمن الفاسي رضي الله عنه.. وما صنعنا شيئا إلا أننا عثرنا على هذا النبراس، وقدمناه لأحبابنا من أبناء هذا العصر.

والله نسأل أن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع، وينفعنا وإياكم به، ويهدينا إلى سواء السبيل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

محمد عطية خميس

لمحة تاريخية في سطور:

الإمام أبو الحسن الشاذلي تقي الدين علي بن عبد الجبار (٥٩٣ - ٦٥٦ هـ)

* هو أبو الحسن الشاذلي . اسمه «علي» . ولقبه «تقي الدين» وكنيته «أبو الحسن» وشهرته «الشاذلي» .

وهو شريف علوي ، نسبه الأغلب إلى «الحسن بن علي» من جهة أبيه ، كما نسبه إلى «الحسين بن علي» من جهة أمه .

* ولد عام ٥٩٣ هـ بقريّة «غمارة» المغربية القريبة من مدينة سبتة ونشأ فيها وأتم حفظ القرآن وتجويده بها وتلقى علومه الابتدائية على شيوخها .

* تآقت نفسه وهو صبي يدرس إلى سلوك طريق القوم ، فاتجه إلى أبي عبد الله بن أبي الحسن بن حرازم ، ولبس منه خرقة التصوف وسلك على يديه بادئ الأمر وتلقى منه مبادئ الطريق .

* رحل إلى «زرويلة» ثم إلى مدينة تونس وتلقى على علمائها وشيوخها علوم الفقه على مذهب الإمام مالك والنحو والصرف والأدب والتفسير والحديث والتوحيد وعلم الكلام وبالجملة جميع العلوم الدينية ، وتفوق في هذه العلوم تفوقاً كبيراً وبذ أقرانه حتى أصبح يناظر أكبر العلماء بتونس وينتصر عليهم .

* ثم كانت له سياحات كثيرة منذ كان يافعاً ، فقد دخل أكثر بلاد المغرب ودخل القيروان وأفريقية وأدى فريضة الحج مرات كثيرة ، فدخل مصر وفلسطين والشام ورحل إلى العراق . دخل كل هذه البلاد أولاً طالباً

ودارساً للعلوم النقلية والعقلية والصوفية، وللتعرف على العلماء الأعلام من كل صنف.

* لقي أبا سعيد الباجي بتونس، وشهد له بالولاية، وسمع منه وأخذ عنه وانتفع به كما التقى أيضاً بأبي الفتح الواسطي بالعراق عام ٦١٨ هـ وشهد له بالعلم وسبيل الإرشاد القويم.

* كان بالعراق شيوخ كثيرون، وكان يطلب على القطب، فأخبره الشيخ أبو الفتح أن القطب في بلاده، فرجع الشيخ إلى بلاد المغرب إلى أن اجتمع بأستاذه الشيخ الولي العارف الصديق القطب الغوث أبي محمد عبد السلام بن مشيش الشريف الحسني.

* قال له الشيخ ابن مشيش بعد أن صحبه مدة :

« يا علي ارتحل إلى أفريقية واسكن بها بلداً تسمى شاذلة فإن الله يسميك الشاذلي، وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس، ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة وبعد ذلك تنتقل إلى بلاد المشرق وترث فيها القبطانية».

* ترك مدينة «فاس» واتجه تنفيذاً لأمر أستاذه نحو «تونس» واتجه نحو «شاذلة» ونزل بطرف من أطراف «شاذلة» ولجأ إلى غار في جبل زغوان المطل على شاذلة، واتخذه رباطاً له يقيم ويتعبد فيه.

* أقام في شاذلة وطالت إقامته وذاعت شهرته وعرف الناس له فضله وصلاحه وتقواه وآمنوا بولايته، فعرف منذ ذلك الحين بـ«الشاذلي» وغلبت عليه هذه الشهرة، وقصده الناس من الأماكن والبلدان المجاورة، وبدأ يخرج عن رباطه بعض الوقت فيسقيم بإحدى الدور في مدينة تونس يدرس ويعظ وينشر دعوته وطريقته بين تلاميذه ومحبيه ومريديه.

* تضايق العلماء والفقهاء من التفاف الناس حوله فثار حقدهم

وحسد هم، وفي مقدمتهم قاضى الجماعة وعالمها أبو القاسم بن البراء، الذى أراد الكيد للشيخ فسعى به لدى سلطان تونس، ولكن الشيخ خرج من هذه المؤامرة معزواً مكرماً فسافر الشيخ للحج، ولكن ابن البراء أرسل كتاباً إلى سلطان مصر ليسعى ضد الشيخ لديه متهماً إياه بأنه يحاول انتزاع سلطانه، ولكن ثبت بعد القبض على الشيخ ومحاكمته أن اتهام ابن البراء اتهام مغرض، فبرئ الشيخ وأحيط بالتكريم.

* بعد أن أدى الشيخ فريضة الحج أسرع بالعودة إلى تونس، وتحققت نبوءة كان قد رآها منذ عشر سنوات قبلها، فالتقى لأول مرة بتلميذه وصفيه وخليفته أبى العباس المرسى.

* وفى سنة ٦٤٢ هـ رأى رسول الله ﷺ فى الرؤيا يقول له: «يا على انتقل إلى الديار المصرية، فإنك تربي فيها أربعين صديقاً».

* فرحل الشيخ إلى مصر وفى صحبته عدد كبير من تلاميذه ومريديه الذين آثروا صحبته على البقاء فى أوطانهم، ودخلوا الإسكندرية، وكان دائم الرحلة إلى المدن المصرية الكبرى، يعظ ويوجه وينشر طريقته.

* بعد أربع سنوات من وصوله إلى مصر، كف بصره إذ أنه أصيب بالماء فغشى بصره. ويقول معللاً سبب فقدته بصره.

- لقيت بعض الأولياء فى إحدى سياحاتى، فعرضت عليه كلاماً فى التوحيد فصاح الرجل ومات فقيل لى. يا على لم فعلت ذلك؟ لتعاقبن بذهاب بصرك.

* كان الشيخ يحمل نفسه المشاق - على كبر سنه - فى سبيل قضاء حاجات أتباعه ومريديه ورعاية شؤونهم.

* وفى سنة ٦٥٦ هـ أحس الشيخ بدنو أجله، فقرر السفر إلى حميثرا، وطلب من أصحابه الذين اختارهم لصحبته، فأسأ وقفة وحنوطاً

وما يجهز به الميت، وفي شوال من تلك السنة، وصلوا حميثرا - وهي موضع في الصحراء المؤدية إلي عيذاب على البحر الأحمر، وأصابته وعكة وانحرف مزاجه فجمع أصحابه، وأوصاهم بأشياء كثيرة وخاصة بحزب البحر.

* وبات الشيخ ولسانه لا يفتر عن ذكر الله، فلما كان الفجر طلب ماء للوضوء فتوضأ ودخل في الصلاة، وفي السجدة الأخيرة صعدت روحه إلى بارئها، وصلى عليه القوم يؤمهم الشيخ أبو العباس، ودفن رضى الله عنه حيث مات في حميثرا.

* كان رضى الله عنه آدم اللون نحيف الجسم، خفيف العارضين، طويل أصابع اليدين كأنه حجازى، وكان فصيح اللسان، عذب الكلام، يلبس الفاخر من الثياب، ويركب الفاره من الدواب، ويتخذ الخيل الجياد، وكان لا يعجبه الزى الذى اصطلح عليه الفقراء، ولا يتخذ المرقعات التى يتخذها الصوفية لأن العابد أو الزاهد إذا تميز بالزى افتضح سره.

* وأكثر من تلقى الشيخ عنهم هم : أبو عبد الله بن حرازم وأبو سعيد الباجى، وأبو محمد المهودى ومحيى الدين بن عربى وأبو الفتح الواصل وعبد السلام بن مشيش رضى الله عنهم.

* ومن أشهر تلاميذه، أبو العباس المرسى، وخادمه الأمين أبو العزائم ماضى بن سلطان، ومكين الدين الأسمر، وعبد الحكيم بن أبى الحوافر، وأبو القاسم القبارى، وأمين الدين جببريل، وابن المنير، وشرف الدين الوفى وغيرهم كثيرون.

* لم يضع رضى الله عنه كتباً، وقد روى ابن عطاء الله أن أحد الأتباع سأل الشيخ مرة: لم يأسيدى لاتضع الكتب فى الدلالة على علوم القوم؟ فأجاب الشيخ: كتبى أصحابى.

* كل ما وصل إلينا من آثاره العلمية الصوفية، مانقله أصحابه عنه من

وصاياه وأقوال ماثورة وأدعية وأحزاب وأوراد، وهي تدل على مدى ما وصل إليه من رقة القلب، حتى لم يعد يشغله غير حب الله سبحانه وتعالى، ومن أشهر أحزابه حزب البر وحزب البحر.

* بالرغم من المجاهدات القاسية التي بذلها الشيخ في سلوكه، إلا أنه كان ينصح مريديه بتصفية النفس، وصقل مرآة القلب دون مشقة، حتى يتمكن من الوصول، فكان يقول:

- ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير والنخالة، ولا ببقبة الصناعة، وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين في الهداية.

- وقال أيضاً: «لا تسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها وتنحل أعضاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها بالهمة أو بالفكرة أو بالإرادة أو بالحركة.

- وقال: «يا بنى برء الماء فإنك إذا شربت الماء الساخن فقلت الحمد لله تقولها بكزازة، وإذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله، استجاب كل عضو فيك بالحمد لله.

- وقال: عليكم بالسبب - أى العمل والسعى وراء الرزق - وليجعل أحدكم مكوكه سبخته، أو تحريك أصابعه فى الخياطة أو الضفر سبخته.

* إن مناقب الشيخ والحديث عنه وبيان مآثره، تحتاج إلى المؤلفات الطوال، فكيف تتسع لها هذه السطور القلائل، وما بالك بشيخ لم يكن يغيب عن طرفه رسول الله ﷺ. فقال رضى الله عنه:

- والله لو حجب عنى رسول الله طرفة عين ماعددت نفسى من المسلمين!؟!

حِزْبُ الْبَرِّ

المَعْرُوفُ بِالْحِزْبِ الْكَبِيرِ
لِلْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الوقت الثمان لهذا الورد بعد
صلاة الصبح ولا ينقطع حال تدروته

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءً
مُجَهَالَةً ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنِّي يُكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ
تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ
يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ
الرَّ كَهَيْعَتِ

حَمْدُ عَسَقٍ

رَبِّ أَحْكُمْ بِلِقَىٰ وَرَبِّنَا الرَّحْمَنِ الْمُسْتَعَانِ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ
 طَهَّ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَىٰ ۖ لَا تَذَكُّرُونَ إِلَّا مَا أَحْسَبُ
 أَنْزِيلًا ۗ مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ الرَّحْمَنِ عَلَىٰ
 الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ
 يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ۗ لِلَّهِ الْإِلَهَ الْأَهْوَلُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ
 اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِنِّي بِالْجَهَالَةِ مَعْرُوفٌ وَأَنْتَ
 بِالْعِلْمِ مَوْصُوفٌ وَقَدْ وَسَّعَتْ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ جِهَالِي
 بِعِلْمِكَ فَسَعَّ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ كَمَا وَسَّعَتْهُ بِعِلْمِكَ وَاعْفُ لِي
 إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .
 يَا اللَّهُ يَا مَالِكُ يَا وَهَّابُ هَبْ لَنَا مِنْ نِعْمَاتِكَ
 مَا عَلِمْتَ لَنَا فِيهِ رِضَاكَ وَاكْسُنَا كِسْوَةَ ثِقَانِيهَا
 مِنَ الْفِتَنِ فِي جَمِيعِ عَطَايَاكَ وَقَدِّسْنَا عَنْ كُلِّ
 وَصْفٍ يُوجِبُ نَقْصًا ۖ فَمَا اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي
 عِلْمِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ .

يَا اللَّهُ يَا عَظِيمُ يَا عَلِيُّ يَا كَبِيرُ نَسْئَلُكَ الْفَقْرَ مِمَّا
 سِوَاكَ وَالْغِنَى بِكَ حَتَّى لَا نَشْهَدَ إِلَّا بِإِيَّاكَ وَاللُّطْفَ
 بَيْنَا فِيهِمَا لُطْفًا عَلِمْتَهُ يَصْبِحُ لِمَنْ وَالْأَلَاكُ وَكَسْنَا
 جَلَابِيبَ الْعِصْمَةِ فِي الْأَنْفَاسِ وَاللَّحْظَاتِ
 وَاجْعَلْنَا عِبِيدًا لَكَ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ وَعَلِمْنَا مِنْ
 لَدُنْكَ عِلْمًا نَصِيرِيهِ كَمَا مَلَيْنَ فِي الْمَحَبِّ وَالْمِمَاتِ
 اللَّهُمَّ أَنْتَ الْحَمِيدُ الرَّبُّ الْمَجِيدُ الْفَعَّالُ مَا تُرِيدُ
 تَعْلَمُ فَرَحَنَا بِمَاذَا وَمَاذَا وَعَلَى مَاذَا وَتَعْلَمُ حُزْنَنا
 كَذَلِكَ وَقَدْ أَوْجَبْتَ كَوْنَ مَا أَرَدْتَهُ فِينَا وَمِنَّا
 وَلَا نَسْئَلُكَ دَفْعَ مَا تُرِيدُ وَلَكِنْ نَسْئَلُكَ التَّيِيدَ
 بِرُوحٍ مِنْ عِنْدِكَ فِيمَا تُرِيدُ كَمَا أَيْدَتِ أَنْبِيَاءُ لَكَ
 وَرُسُلَكَ وَخَاصَّةَ الصِّدِّيقِينَ مِنْ خَلْقِكَ إِنَّا نَسْئَلُكَ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ
 وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فَهَيِّئْ لِمَنْ عَرَفَكَ
 فَرْضِي بِقَضَائِكَ وَالْوَيْلُ لِمَنْ لَمْ يَعْرِفَكَ بَلِ الْوَيْلُ

ثُمَّ الْوَيْلُ لِمَنْ أَقْدَرُ بِوَحْدَانِيَّتِكَ وَلَمْ يَرْضَ بِأَحْكَامِكَ
 اللَّهُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ حَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالذُّلِّ حَتَّى عَزُّوا
 وَحَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالْفَقْدِ حَتَّى وَجَدُوا فَاكُلُ عِرْمَبَعٍ
 دُونَكَ فَنَسَأَلُكَ بِدَلِّهِ دُلًّا تَصْحَبُهُ لَطَائِفُ
 رَحْمَتِكَ وَكُلُّ وَجِدٍ يَحْجُبُ عَنْكَ فَنَسَأَلُكَ
 عِوَضَهُ فَقَدْ تَصْحَبُهُ أَنْوَارُ مَحَبَّتِكَ فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ
 السَّعَادَةُ عَلَى مَنْ أَحْبَبْتَهُ وَظَهَرَتْ الشَّقَاوَةُ عَلَى مَنْ
 غَيْرِكَ مَلَكُهُ فَهَبْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ السُّعَادَةِ
 وَأَعِصِمْنَا مِنْ مَوَارِدِ الْأَشْقِيَاءِ .
 اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ عَجَزْنَا عَنْ دَفْعِ الضَّرِّ عَنْ نَفْسِنَا
 مِنْ حَيْثُ نَعْلَمُ بِمَا نَعْلَمُ فَكَيْفَ لَا نَعْزُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ
 حَيْثُ لَا نَعْلَمُ بِمَا لَا نَعْلَمُ وَقَدْ أَمَرْنَا وَهَيْبْنَا وَاللَّحْ
 وَالْدَمَ الزَّمْنَا فَأَخُو الصَّلَاحِ مِنْ أَصْلَحَتِهِ وَأَخُو
 الْفُسَادِ مِنْ أَضْلَلْتَهُ وَالسَّعِيدُ حَقًّا مَنْ أَعْنَيْتَهُ
 عَنِ السُّؤَالِ مِنْكَ وَالشَّقِيُّ حَقًّا مَنْ حَرَمْتَهُ مَعَ كَثْرَةِ
 السُّؤَالِ لَكَ فَأَعِينَا بِفَضْلِكَ عَنْ سُؤَالِنَا مِنْكَ

وَلَا تَحْمِلْنَا مِنْ رَحْمَتِكَ مَعَ كَثْرَةِ سُؤَالِنَا لَكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 يَا شَدِيدَ الْبَطْشِ يَا جَبَّارَ يَا قَهَّارَ يَا حَكِيمَ نَعُوذُ بِكَ مِنْ
 شَرِّ مَا خَلَقْتَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ ظُلْمَةِ مَا أَبْدَعْتَ وَنَعُوذُ
 بِكَ مِنْ كَيْدِ النَّفُوسِ فِيمَا قَدَّرْتَ وَأَرَدْتَ وَنَعُوذُ بِكَ
 مِنْ شَرِّ الْحُسَادِ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ وَنَسْتَلُكَ عِزَّ الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ كَمَا سَأَلَكُمُ نَبِيُّكَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِزَّ الدُّنْيَا بِالْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ وَعِزَّ
 الْآخِرَةِ بِاللِّقَاءِ وَالْمَشَاهِدَةِ إِنَّكَ سَمِيعٌ قَبِيبٌ مُجِيبٌ
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَقْدِمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ نَفْسٍ
 وَحُجَّةٍ وَطَرْفَةِ بَطْرِفٍ بِهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلُ
 الْأَرْضِ وَكُلِّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ كَائِنٌ
 أَوْ قَدْ كَانَ أَقْدِمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ ذَلِكَ كُلَّهُ
 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ
 وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا
 الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
 وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا

شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ
 حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ
 أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِبَسْطِ يَدَيْكَ وَكَرَمِ وَجْهِكَ
 وَنُورِ عَيْنِكَ وَكَمَالِ أَعْيُنِكَ أَنْ تُعْطِينَا خَيْرَ مَا نَفَقْتُ
 بِهِ مَشِيئَتِكَ وَتَعَلَّقْتُ بِهِ قَدْرَتِكَ وَأَحَاطَ بِهِ
 عِلْمُكَ وَآكِنَا شَرَّ مَا هُوَ ضِدُّ لَذَلِكَ وَآكَلُ رَيْبِنَا
 وَأَتَمُّ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ وَهَبْ لَنَا حِكْمَةَ الْحِكْمَةِ
 الْبَالِغَةِ مَعَ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَالْمَوْتَةِ الْحَسَنَةِ وَتَوَلَّ
 قَبْضَ أَرْوَاحِنَا بِيَدِكَ وَحُلَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ غَيْرِكَ فِي
 الْبَرَزِخِ وَمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ بِنُورِ ذَاتِكَ وَعَظِيمِ
 قَدْرَتِكَ وَجَمِيلِ فَضْلِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 يَا اللَّهُ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ يَا حَلِيمُ يَا حَكِيمُ يَا كَرِيمُ يَا سَمِيعُ
 يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبُ يَا وَدُودٌ حُلَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ فِتْنَةِ
 الدُّنْيَا وَالنِّسَاءِ وَالْعَقَلَةِ وَالشَّهْوَةِ وَظَلَمِ الْعِبَادِ
 وَسُوءِ الْخَلْقِ وَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَأَقْضِ عَنَّا سَعَاتِنَا
 وَاكْسِفْ عَنَّا السُّوءَ وَنَجِّنَا مِنَ الْغَمِّ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْهُ

مَخْرَجًا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا لَطِيفُ يَا رَزَاقُ يَا قَوِيُّ
 يَا عَزِيزُ لَكَ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ تَبْسُطُ
 الرِّزْقَ لِمَنْ تَشَاءُ وَتَقْدِرُ فَابْسُطْ لَنَا مِنَ الرِّزْقِ
 مَا تَوْصَلُنَا بِهِ إِلَى رَحْمَتِكَ وَمِنْ رَحْمَتِكَ مَا تَحْوُلُ
 بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ نِقْمَتِكَ وَمِنْ حِلْمِكَ مَا يَسْعُدُنَا بِهِ
 عَفْوُكَ وَاحْتِمْنَا بِالسَّعَادَةِ الَّتِي حَتَمْتَ بِهَا
 لِأَوْلِيَائِكَ وَاجْعَلْ خَيْرَ أِيَامِنَا وَأَسْعَدَهَا يَوْمَ لِقَائِكَ
 وَرَحِّزْ حَنَافِي الدُّنْيَا عَنِ نَارِ الشَّهْوَةِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ
 فِي مَيَادِينِ الرَّحْمَةِ وَاكْسُنَا مِنْ نُورِكَ جَلَالِيْبِ الْعِصْمَةِ
 وَاجْعَلْ لَنَا ظَهْرًا مِنْ عُقُولِنَا وَمُهَيْمِنًا مِنْ أَرْوَاحِنَا
 وَمُسْتَحْرًا مِنْ أَنْفُسِنَا كَمَا نَسِيتَكَ كَثِيرًا وَنَذَرْتُكَ كَثِيرًا
 إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا وَهَبْ لَنَا مَشَاهِدَةً تَصْبِحُ بِهَا
 مَكَالِمَةً وَافْتَحْ أَسْمَاعَنَا وَأَبْصَارَنَا وَاذْكُرْنَا إِذَا غَفَلْنَا
 عَنْكَ بِأَحْسَنِ مَا نَذْكُرُنَا بِهِ إِذَا ذَكَّرْنَاكَ وَارْحَمْنَا
 إِذَا عَصَيْنَاكَ بِأَتَمِّ مَا تَرْحَمُنَا بِهِ إِذَا أَطَعْنَاكَ وَاعْفِرْ لَنَا

ذُنُوبًا مَا نَقَدَمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ وَالطُّفَّ بِنَا لَطْفًا
يَحُجُّبُنَا عَنْ غَيْرِكَ وَلَا يَحُجُّبُنَا عَنْكَ فَإِنَّكَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَلُكَ لِسَانًا رَطْبًا بِذِكْرِكَ وَقَلْبًا
مُنْعًا بِشُكْرِكَ وَبَدَنًا هَيِّنًا لِنِيَابِطَاعَتِكَ وَأَعْطِنَا
مَعَ ذَلِكَ مَا لِالْأَعْيُنِ رَأَتْ وَلَا لِالْأُذُنِ سَمِعَتْ وَلَا
خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرِيٍّ كَمَا أَخْبَرَهُ رَسُولُكَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَبَ مَا عَلِمْتَهُ بِعِلْمِكَ
وَإِعْتِنَا بِإِلَاسِيبٍ وَاجْعَلْنَا سَبَبَ الْغِنَى لِأَوْلِيَانِكَ
وَبَرَزْ خَابِيئِهِمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَلُكَ إِيمَانًا دَائِمًا وَنَسْتَلُكَ قَلْبًا
خَاشِعًا وَنَسْتَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا وَنَسْتَلُكَ يَقِينًا
صَادِقًا وَنَسْتَلُكَ دِينًا قِيمًا وَنَسْتَلُكَ الْعَافِيَةَ
مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَنَسْتَلُكَ تَمَامَ الْعَافِيَةِ وَنَسْتَلُكَ
دَوَامَ الْعَافِيَةِ وَنَسْتَلُكَ الشُّكْرَ عَلَى الْعَافِيَةِ
وَنَسْتَلُكَ الْغِنَى عَنِ النَّاسِ (ثَلَاثًا)

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَلِكَ التَّوْبَةَ الْكَامِلَةَ وَالْمَغْفِرَةَ
 الشَّامِلَةَ وَالْمَحَبَّةَ الْكَامِلَةَ الْجَامِعَةَ وَالْخُلَّةَ الصَّافِيَةَ
 وَالْمَعْرِفَةَ الْوَاسِعَةَ وَالْأَنْوَارَ السَّاطِعَةَ وَالشَّفَاعَةَ
 الْقَائِمَةَ وَالْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ وَالدَّرَجَةَ الْعَالِيَةَ وَفَكَ
 وَتَأْتِنَا مِنَ الْمُعْصِيَةِ وَرِهَانِنَا مِنَ النِّعَمِ بِمَوَاهِبِ الْمِنَّةِ
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَلِكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا وَنَعُوذُ بِكَ
 مِنَ الْمُعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا فَذَكِّرْنَا بِالْخَوْفِ مِنْكَ قَبْلَ
 هُجُومِ خَطَرِهَا وَاجْعَلْنَا عَلَى الْبِتْحَاءِ مِنْهَا وَمِنَ النَّفْكِ
 فِي طَرِيقِهَا وَامْحُ مِنْ قُلُوبِنَا حَلَاوَةَ مَا اجْتَنَبْنَاكَ
 مِنْهَا وَاسْتَبِدْ لَهَا بِالْكَرَاهَةِ لَهَا وَالطَّعْمَ لِمَا هُوَ بِيضٌ لَهَا
 وَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَفْوِكَ حَتَّى تَخْرُجَ
 مِنَ الدُّنْيَا عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ وَبَالِهَا وَاجْعَلْنَا عِنْدَ
 الْمَوْتِ نَاطِقِينَ بِالشَّهَادَةِ عَالِمِينَ بِهَا وَارْأفْ بِنَا
 رَأْفَةَ الْحَبِيبِ نَحْبِيهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَتَرْوِهَا
 وَأَرْحَمًا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَغُمُومِهَا بِالرَّوْحِ وَالْإِيمَانِ
 إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَلُكَ تَوْبَةً سَابِقَةً مِنْكَ إِلَيْنَا
 لِيَتَكُونَ تَوْبَتِنَا تَابِعَةً إِلَيْكَ مِنَّا وَهَبْ لَنَا التَّلَقِّيَ
 مِنْكَ كَمَا تَلَقَى آدَمَ مِنْكَ الْكَلِمَاتِ لِيَكُونَ قَدْوَةً لَوْلِيهِ
 فِي التَّوْبَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
 الْعِنَادِ وَالْإِضْرَارِ وَالشَّبَهِ بِإِبْلِيسَ رَأْسِ الْغَوَاةِ
 وَاجْعَلْ سَيِّئَاتِنَا سَيِّئَاتٍ مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا تَجْعَلْ
 حَسَنَاتِنَا حَسَنَاتٍ مَنْ أَبْغَضْتَ ۖ فَإِلْحَسَانُ
 لَا يَنْفَعُ مَعَ الْبُغْضِ مِنْكَ وَالْإِسَاءَةُ لَا تَنْضُرُ مَعَ
 الْحُبِّ مِنْكَ وَقَدْ أَهْمَتِ الْأُمْرَ عَلَيْنَا الزُّجُورُ وَخَافَ
 فَا مِنْ خَوْفِنَا وَلَا تَخَيِّبْ رَجَاءَنَا وَاعْطِنَا سُؤْلَنَا فَقَدْ
 اعْطَيْنَا الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَسْأَلَكَ وَكَبَيْتَ وَجِبْتِ
 وَزَيَّنْتَ وَكَرِهْتَ وَأَطَلَقْتَ الْأَلْسُنَ بِمَا بِهِ تَرَجِمْتَ
 فَنِعْمَ الرَّبُّ أَنْتَ فَلَاكُمُ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ فَاعْفُرْ لَنَا
 وَلَا تَعَاقِبْنَا بِالسَّلْبِ بَعْدَ الْعَطَاءِ وَلَا يَكْفُرْ إِنْ التَّعَمُّ
 وَحَرْمَانِ الرِّضَا .
 اللَّهُمَّ رَضْنَا بِقَضَائِكَ وَصَبَرْنَا عَلَى طَاعَتِكَ

وَعَنْ مَعْصِيَتِكَ وَعَنْ الشَّهَوَاتِ الْمَوْجِبَاتِ
 لِلنَّقْصِ أَوْ الْبُعْدِ عَنْكَ وَهَبْ لَنَا حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
 بِكَ حَتَّى لَا نَخَافَ غَيْرَكَ وَلَا نَرْجُوَ غَيْرَكَ وَلَا نَحِبَّ
 غَيْرَكَ وَلَا نَعْبُدَ شَيْئًا سِوَاكَ وَأَوْزِعْنَا شُكْرَكَ
 نِعْمَانِكَ وَغَطَّنَا بِرِذَاءِ عَافِيَتِكَ وَأَنْصُرْنَا بِالْيَقِينِ
 وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ وَأَسْفِرْ وُجُوهَنَا بِنُورِ صِفَائِكَ
 وَأَضْحِكْنَا وَلَبِّشْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَوْلِيَائِكَ
 وَاجْعَلْ يَدَكَ مَبْسُوطَةً عَلَيْنَا وَعَلَى أَهْلِنَا وَأَوْلَادِنَا
 وَمَنْ مَعَنَا بِرَحْمَتِكَ وَلَا تَكُنَّا إِلَى أَنْفُسِنَا ظَافِرِينَ
 وَلَا أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ يَا نِعَمَ الْمَجِيبِ (ثَلَاثًا)
 يَا مَنْ هُوَ هُوَ هُوَ فِي عُلُوِّهِ قَرِيبٌ يَا ذَا الْجَلَالِ
 وَالْإِكْرَامِ يَا مُحِيطًا بِاللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ أَشْكُو إِلَيْكَ
 مِنْ غَمِّ الْحِجَابِ وَسُوءِ الْحِسَابِ وَشِدَّةِ الْعَذَابِ
 وَإِنْ ذَلِكَ لَوَاقِعٌ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ إِنْ لَمْ تَرْحَمْهُ
 (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)
 (ثَلَاثًا) وَلَقَدْ شَكَى إِلَيْكَ يَعْقُوبُ فَخَلَصَتْهُ

مِنْ حُرْنِهِ وَرَدَدَتْ عَلَيْهِ مَا ذَهَبَ مِنْ بَصِيرِهِ
 وَجَمَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَلَدِهِ ۗ وَلَقَدْ نَادَاكَ نُوحٌ مِنْ
 قَبْلِ فَجِئْتَهُ مِنْ كَرْبِهِ ۗ وَلَقَدْ نَادَاكَ أَيُّوبُ مِنْ بَعْدِ
 فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ ۗ وَلَقَدْ نَادَاكَ يُوسُفُ
 فَجِئْتَهُ مِنْ عَمِيهِ ۗ وَلَقَدْ نَادَاكَ زَكَرِيَّا فَوَهَبْنَا لَهُ
 وَلَدًا مِنْ صُلَيْبِهِ بَعْدَ يَأْسِ أَهْلِهِ وَكَبَّرْنَا سِنَهُ ۗ وَلَقَدْ
 عَلِمْتَ مَا نَزَلَ بِآبِرَاهِيمَ فَأَنْقَذْتَهُ مِنْ نَارِ عَدُوِّهِ
 وَأَنْجَيْتَ لُوطًا وَأَهْلَهُ مِنَ الْعَذَابِ النَّازِلِ بِقَوْمِهِ
 فَهَا أَنَا ذَا عَبْدُكَ إِنْ تَعَذَّبْنِي بِجَمِيعِ مَا عَلِمْتَ مِنْ
 عَذَابِكَ فَأَنَا حَقِيقٌ بِهِ وَإِنْ تَرَحَّمْتَنِي كَمَا رَحِمْتَهُمْ
 مَعَ عَظِيمِ إِجْرَامِي فَأَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ وَأَحَقُّ مِنْ
 أَكْرَمِيهِ فَلَيْسَ كَرَمُكَ مَحْصُوصًا عَنِ اطِّعَاكَ
 وَأَقْبَلَ عَلَيْكَ بَلْ هُوَ مَبْدُؤُا لِّالسَّبْقِ لِمَنْ شِئْتَ
 مِنْ خَلْقِكَ وَإِنَّ عَصَاكَ وَأَعْرَضَ عَنْكَ وَلَيْسَ
 مِنَ الْكِرَامِ إِنْ لَا تُحْسِنَ إِلَّا لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ
 وَأَنْتَ الْمِفْضَالُ الْغَنِيُّ بَلْ مِنَ الْكِرَامِ إِنْ تُحْسِنَ إِلَى

مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ وَأَنْتَ الرَّحِيمُ الْعَلِيُّ كَيْفَ وَقَدْ
 أَمَرْتَنَا أَنْ نُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا فَأَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَّا
 (وَبِنَاظِلْمَتِنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا
 لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (ثَلَاثًا)

يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحْمَنُ
 يَا قَيُّومُ يَا قَيُّومُ يَا قَيُّومُ
 يَا مَنْ هُوَ هُوَ هُوَ يَا هُوَ يَا هُوَ يَا هُوَ
 إِنْ لَمْ تُكُنْ لِرَحْمَتِكَ أَهْلًا أَنْ نَنَالَهَا فَرَحْمَتُكَ أَهْلٌ
 أَنْ تَنَالَنَا

يَا رَبَّاهُ (ثَلَاثًا) يَا مَوْلَاهُ (ثَلَاثًا)
 يَا مُغِيثَ مَنْ عَصَاهُ (ثَلَاثًا)
 أَغْنِنَا أَغْنِنَا أَغْنِنَا يَا رَبُّ يَا كَرِيمُ يَا رَحْمَنًا
 يَا بَرِيَّ الرَّحِيمِ يَا مَنْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ
 أَسْأَلُكَ الْإِيمَانَ بِحِفْظِكَ إِيمَانًا يَسْكُنُ بِرِجْلَيْهِ
 مِنْهُمْ الرِّزْقَ وَخَوْفَ الْخَلْقِ وَأَقْرَبَ مِنِّي بِقَدْرِكَ

قَرَّبًا تَحَقُّ بِهٖ عَنِّي كُلِّ حِجَابٍ مَحَقَّقَهُ عَنِ اِبْرَاهِيْمَ
 خَلِيْلِكَ فَلَمْ يَجْتَحِ لِجَبْرِئِلَ رَسُوْلِكَ وَلَا لِسُوْاْلِهِ
 مِنْكَ وَحِجْبَتَهُ يَدْلِكَ عَنِ نَارِ عَدُوِّهِ وَكَيْفَ لَا
 يَحْجَبُ عَنِ مَضْرَّةِ الْاَعْدَاءِ مَنْ غَيَّبَتْهُ عَنِ
 مَنَفَعَةِ الْاِحْبَاءِ كَلَّا اِنِّي اَسْأَلُكَ اَنْ تَغَيِّبَنِي
 بِقُرْبِكَ مِنِّي حَتَّى لَا اَرَى وَلَا اَحْسَسُ بِقُرْبِ
 شَيْءٍ وَلَا يَبْعُدُهٗ عَنِّي اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ
 اَفْحَسِبْتُمْ اَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَاَنْتُمْ اِلٰهِيْنَ لَا
 تُرْجَعُوْنَ فَتَعَالٰى اَللّٰهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا اِلٰهَ اِلَّا
 هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيْرِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا
 اٰخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهٗ بِهِ فَاِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ اِنَّهٗ
 لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُوْنَ وَقُلْ رَبِّ اَغْفِرْ وَاَرْحَمْ وَاَنْتَ
 خَيْرُ الرَّاحِمِيْنَ
 هُوَ الْحَيُّ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ فَادْعُوْهُ مُخْلِصِيْنَ
 لَهٗ الدِّيْنَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ
 اِنَّ اللّٰهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلٰى النَّبِيِّ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
 اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ
 سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ
 سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا
 إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ
 إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ

اللَّهُمَّ وَارِضْ عَنْ سَادَاتِنَا الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ
 أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَارِضْ
 اللَّهُمَّ عَنْ سَيِّدِنَا الْحَسَنِ وَعَنْ سَيِّدِنَا
 الْحُسَيْنِ وَعَنْ أُمَّهِمَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ وَعَنْ
 الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ وَعَنْ أَزْوَاجِ نَبِيِّكَ الطَّاهِرَاتِ
 أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَنِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ
 بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
 الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى وَسَلَّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
 النَّبِيِّ الْكَرِيمِ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ
 وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْمُحَمَّدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

سيرة الشيخ

للشيخ العلامة والبحر الفهامة
قطب المهتدين وإمام الواصلين
العارف بالله تعالى

عبد الرحمن بن محمد القاسمي
أنزل الله عليه سبحانه الرضا



«والله ما وضعت فيه حرفاً
إلا بإذن من ربي وأمر من رسول
الله ﷺ» .

أبو الحسن الشاذلي

تلقى الحزب بالإذن

- تلقى الحزب بإذن من الله وأمر من الرسول
- شواهد تلقى الولي بالإذن
- أقسام الإذن
- بركة حزب البر
- وقت تلاوته
- الآيات المتفرقات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم

قال شيخنا العلامة البحر الفهامة
قطب المهتدين وإمام الواصلين العارف
بالله تعالى سيدى عبد الرحمن بن
محمد الفاسى ، نفعنا الله تعالى
ببركاته آمين :

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد
وآله مهبط الوحي وتنزل الرحمات .

وبعد ، فلما كان حزب الشيخ الغوث الكبير والقطب الشهير سيدى
أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، قد اشتهر ذكره فى البدو والحضر
وسار فى البلدان والأقطار مسير الشمس والقمر وكان مجرب النفع
ومعلوم البركة موضوعا عليه من القبول والتعظيم والطلاوة ماهو شاهد
بكونه قريب عهد من الله وبارزاً من حضرة الله ومتلقى من عين منة الله .
فكان من أجل ذلك محفوظاً بالعناية وملحوظاً بالرعاية محتويا على كنوز
من المعارف والأسرار وحكم من اللطائف والأنوار ، قصدت إلى جمع ما
ألهم الله عز وجل من بعض أسراره والاعتناء بشيء مما اشتمل عليه من
معانيه ومبانيه على وجه يؤكد الانتفاع به ، ويرغب فى تحصيله ، راجيا من
الله ببركته الفتح والتيسير والتحقيق بما رمز إليه ، فإنه تعالى على مايشاء
قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

(هذا) وقد ورد في فضله عن واضعه رضى الله عنه على ما حكاه سيدي عبد النور رضى الله عنه أنه كان يثنى على حزه الكبير ويقول :

- ما رتبت منه كلمة إلا بإذن من ربي وأمر من رسول الله ﷺ .

يعنى على وجه التلقى يقظة ونوما كما هو معلوم فى حق أهل الله . وشواهدة من الكتاب ومن السنة كثيرة وشهيرة :

وناهيك بآية الوحي إلي أم موسى عليه السلام كما أخبر الله^(١) .

وبموافقة الفاروق رضى الله عنه فى غير ما قصة^(٢) .

وبقصة تلقى الأذان نوما^(٣) .

(١) يقصد قوله تعالى «إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى . أن اقدفيه فى التابوت فاقدفيه فى اليم» طه ٣٨ ، ٣٩ - فإن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ولدها . فقتل الله فى نفسها أن تتخذ له تابوتا ثم تقذفه فى اليم .

(٢) قال صلى الله عليه وسلم «جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه» وقال «إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به» فقد نزل القرآن فى مواضع كثيرة مؤيدا لرأى عمر ، منها رأيه فى أسرى بدر ، ورأيه فى حجب نساء الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) لما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، كان الناس يجتمعون للصلاة حين مواقيتها بغير دعوة . وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل المسلمين بوقا كيق اليهود يدعون به للصلاة ، لكنه كره البوق ، فأمر بناقوس يدق ساعات الصلاة كما يدق الناقوس للنصارى ، فنحت الناقوس وكلف عمر أن يشتري الغداة له خشبتين ، وبينما عمر رضى الله عنه نائم فى داره إذ رأى فى المنام «لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة» فذهب عمر إلى رسول الله يخبره بما رأى فإذا الوحي سبقه به .

ويروى ان عبد الله بن زيد سبقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله إنه طاف بى هذه الليلة طائف .. مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت له يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت ندعو به إلى الصلاة . قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ وألقى إليه صيغة الأذان ، فأمر رسول الله بلالا فأذن بها ، فسمعها عمر وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرداءه . ويقول : يانبى الله ، والذي بعثك بالحق ، لقد رأيت مثل الذى رأى .

وقضية قتال مانعى الزكاة^(١).

وجمع القرآن وأخبار الفاروق رضى الله عنه عن الصديق رضى الله عنه بعد مراجعته بأن الله شرح لذلك صدره وعلم من أجل ذلك أنه الحق^(٢).

وهو عين الإذن الذى تعنيه الصوفية رضى الله عنهم وذلك فى حق من فنت بشريته وتجوهرت نفسه واضمحلّت إنسانيته كما يشير إلى ذلك الحديث الإلهى وهو «لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره»^(٣) يعنى وسائر فؤاده، وحينئذ يكون العبد إن صمّت فمع الله، وإن نطق فبالله، فتجمع عليه علوم سمية،

(١) حين رفض المرتدون أداء الزكاة فى عهد أبى بكر رضى الله عنه، رأى أبو بكر مقاتلتهم، وخالفه فى هذا كثيرون، ومن بينهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، حتى قال لأبى بكر فى شيء من الحدة «كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن قالها عصم منى ماله ودمه إلا بحقهما وحسابهم على الله». فأجاب أبو بكر (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال. وقد قال. إلا بحقهما). قال عمر: والله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

(٢) استشهد فى حروب الردة عدد كبير من حفاظ القرآن، وخشى عمر بن الخطاب رضى الله عنه إن تلاحقت الغزوات أن يقتل فيها مثل من قتل من الحفاظ باليمامة، فذهب إلى أبى بكر وهو بمجلسه من المسجد، فقال له: إن القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن كلها، فيذهب قرآن كثير، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقال أبو بكر كيف أفعل شيئاً لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن عمر رضى الله عنه أقنع خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر أبو بكر زيد بن ثابت بتتبع القرآن وجمعه.

(٣) الحديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وماتقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى أعطيته، ولكن استعاذنى لأعيذنه» رواه البخارى - (آذنته) أعلمته بأنى محارب له (استعاذنى) روى بالنون وبالباء.

وجواهر من الحكم سنية، وبحسب ذلك يحيا بها سامعها، ويمتد منها الآخذ منها.

(هذا) وقد قال الله تعالى مخبرا ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ (١) وسيقول واضع الحزب أثناءه «وهب لنا التلقى منك كتلقى آدم منك الكلمات» وفي الصحيح أنه «كان فيمن قبلكم محدثون - في رواية متكلمون - من غير أن يكونوا أنبياء وإن يكونوا في أمتي فعمر منهم» (٢) أو كما قال ﷺ وسيقول في أثناء الحزب «وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة» ويأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى.

وبالجملة فالإذن ينقسم إلى «تكليفي» وهو عام، وإلى «تصريفي» وهو ما كان بوارد الخبر، وإلى «تعريفي» وهو ما كان من طريق المحادثة والتكلم وليس في ذلك كلمة مزاحمة للنبوة ولا مخالفة لما وردت به، لكون الولي في ذلك على حكم التبع والموافقة لاحكم الاستقلال والمخالفة، والكلام هنا يطول وتكفي الإشارة إلى أنه لا يكون في ذلك أبدا استحداث حكم من الأحكام، وإنما مناطه فيما استبهم من المباح أو التأكيد بحكم من الأحكام، وإلا فهو وسوسة، وسننبه على وجه الموافقة فيما قد تخفى فيه من هذا الحزب إن شاء الله تعالى ثم شهد بصدق ما ذكره من الإذن في حزبه ماله من الخلاوة وما كساه من رونق وطلاوة فهو نفس عارف، ونفثة مكاشف، ويعترف له كل ذائق ويعترف منه كل موفق وموافق.

(١) سورة البقرة : ٣٧ .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر» رواه مسلم من رواية عائشة وفي روايتهما قال ابن وهب محدثون أي ملهْمون .

(هذا) وقد قال واضعه أيضاً في فضله «إنه أمان للإقليم الذى يقرأ فيه».

وقال: «لو قرئ» ببغداد ما أخذت».

وقال إنه اجتمع فى قراءته معه أربعون من الأبدال فى مواجهة الكعبة.

وقال: «من حفظه فهو من أصحابى، ومن قرأ حزينا هذا له مالنا وعليه ما علينا وكان داخلا فى شفاعة جدى رسول الله ﷺ» يعنى شفاعة خاصة وأما العامة فنفعها عائد على كل مؤمن.

وهذا كله لا يقال بالرأى، وإنما سبيله التلقى كما تقدم، وكذلك ما ذكره من الأمر ويشمله فى الجملة ما أخبر به فى الحديث وبقاء المبشرات بعد النبوة فافهم. وأما قوله: «له مالنا وعليه ما علينا» فهى عبارة مطروقة للناس فى هذا الكلام وأقرب من ذلك ما يشير إليه كلام وارثه رضى الله عنه فى قصة مذكورة فى لطائف المنن قال فيها «من دخل فى شروطنا فهو آمن، وعليه فله مالنا من الأمر وعليه ما علينا من الشروط» وهو قريب من قوله «من حفظه فهو من أصحابى» لأن ذلك كله من شواهد محبته واستحسان طريقته، فالأخذ بذلك دخول فيها، وتقييد بشروطها وتمسك بها، فلا يعدم من ذلك بركتها والله أعلم.

(هذا) وقد رتبته وارثه سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه ورداً بعد صلاة الصبح كما رتب حزب البحر وردا بعد صلاة العصر. واستمر عمل الكثير من شيوخ السادة الشاذلية على قراءته من قوله «وإذا جاءك» وبذلك سماه ابن عطاء الله فى لطائف المنن رضى الله عنه.

وأما ما قيل فى ذلك فذكر عن واضعه رضى الله عنه أنه كان يقرؤه مرة

ويتركه أخرى، على أن غالبه - أى قراءته - قرآن، ولكن السرفى ترتيب ذلك وقد تقدم، أنه عن بصيرة ربانية - يوافقه ماورد عن بعض الصحابة وهو بلال رضى الله عنه من أنه مر به النبي ﷺ وهو يقرأ آية من هذه السورة وآية من هذه، فسأله عن ذلك فقال «أخلط الطيب بالطيب» فقال عليه الصلاة والسلام.

«اقرأ السورة على وجهها». وفي بعضها فقال «أحسن»^(١).

وعلى رواية أحسنت يصلح شاهداً فى الجملة، وأما الرواية الأخرى وهو أمره له بقراءة السورة على وجهها، فمحافظة على نظمه.

وفى نوادى الأصول: حديث بلال هذا وتمثله بالحنلة تأكل من الحلوى والمر ويمسى ذلك حلوا كله وشفاء وهو يصلح توجيهها لفعل بلال رضى الله عنه، وأما أمره له بقراءة السورة على وجهها فلأن الشفاء فيها اقتضى تدبيره تعالى من نظمه كما سماه شفاء لما فى الصدور.

هذا وفى نوازل البرزلى مانصه:

«وقد رأيت أحاديث فى الرقى والحفظ من الغوائل تقتضى جواز (قراءة) القرآن مفرداً، وكذلك جل أحزاب الشيخ العارف بربه تعالى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه وقد أكثر منها فى حزبه الكبير الشهير».

(١) حديث «سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت» أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح.

«وإذا جاءك الذين يؤمنون
بآياتنا، فقل سلام عليكم كتب
ربكم على نفسه الرحمة أنه من
عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من
بعده وأصلح فإنه غفور رحيم» .

كتب ربكم على نفسه الرحمة

- آية الاستفتاح
- سر الأسرار المانع من الأضرار
- كيف حج «آدم» «موسى»؟
- الجرعة الأولى من دواء النفوس الخبيثة
- من تقرب إلى الله شبراً
- فرح الله بتوبة عبده المؤمن

(ثم الذى يظهر فى سراسر افتتاحه بآية إن الله اشترى) مافى ذلك من تذكير المتوجه بتنبهه لطريق القصد إلى الله تعالى وهو إلقاء النفس سلماً بين يدى الله تعالى من غير تدبير معه ولا منازعة فيما يجرى عليه وهو مبنى طريق الصوفية ومناط العبودية وهذا المعنى هو الذى حام عليه صاحب التنوير فى إسقاط التدبير وضمنه كتابه، ولما تحقق بذلك القرنبالي، كان كثيراً ما يجرى فى كلامه (أنا مالى فياش إش على منى)، وكان ينشد كثيراً ماقاله البرزلى رضى الله عنه .

فلا الرفع أرجوه ولا الخفض أتقى لأنى منصوب لكل العوامل

يشير إلى نفوذ تصاريف القدر وتحقيقه بذلك، فلا أمل له ولا أمنية فى شىء، ولا خوف من شىء، وقد استوت الحالات عنده كما قيل :

أصبحت لا أمل ولا أمنية أرجو ولا موعدة أترقب

وقد قيل لبعضهم فوض أمرك إلى الله تعالى، فقال «ليس لى أمر حتى أفوضه إليه» وهذا لتجرده عن وجوده وانقطاعه عن كسبه وعزمه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾^(١) و﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(٢). وهو موقف التحقيق والأخذ عن الإرادة بالغيبية فى الحقيقة والفناء فى التوحيد والتجرد عن التعلق بالحق والخلق، فإن رد إلى البقاء يكون كما قال الشاذلى «إنما يكون قلبه متعلقاً بالله» قال «ومادام قلبه متعلقاً بعلمه وحوله وقوته فليس براج الله حتى ييأس من الشكل متعلقاً بالله فى كل نفس، فحينئذ تجدد الروح والمدد من الله تعالى، ويقطع بذلك النور عن النظر إلى غير الله ويضيق عليه بالقرب من الله من حيث يجمعه عليه من غير التفات لسواه».

(١) الأنفال : ٢٤ .

(٢) آل عمران : ١٢٨ .

هذا وفى رواية «إن الله اشترى» إيماء رحمته تعالى لتنزله لعبده بالاشتراء، وملاطفة فى نسبة تسليمه له حاله، وكل العبيد له، والجائر عليهم منه وإليه.

لكن يترجح الاستفتاح الآخر الذى عليه العمل لأن آية الاشتراء تشير لنسبة شىء من العبد له وللعرض، وكل ذلك ينبو عن مذهب الصوفية أهل الحقيقة، ولذلك قال ابن وفا رضى الله عنه :

لو لم أكن عبداً لكنت وهبته روحى وتلك هديسة الفقراء

وهو أبلغ فى العبودية من قول العارف ابن الفارض

مالى سوى روحى وبإذل روحه فى حب من يهواه ليس بمسرف

وقد أومات الأمر بتخصيص المشترى من المؤمنين دون النبى إلى تخلص غير النبى مما فى النفس من الدعوى، ولا كذلك النبى، فإنه كامل مخلص من ذلك من أول نشأة، فهو متمحض للحرية من دعوى النفس بخلاف غيره ولو صديقا، فإنه يقع عليه الأسر من النفس حتى يخلص بالجزية.

(ثم قوله فيه؛ ونسألك سر الأسرار المانع من الأضرار)

قد فسرره واضعه فى كلام له بأنه مدد العلم والمعرفة وروح القرية والاصطفاية والتخصيص والتولية، ويشير لسر البقاء.

وفى حزب الفتح لابن وفا رضى الله عنه «وأحينا بروح القرب، وانفحننا بروح الشوق، واحجب أبصارنا بنور جمالك عن مشاهدة الأغيار، وضيق علينا بقربك حتى نشاهدك أقرب إلينا من كل شىء».

(هذا) وقد قيل، وإنما كان حصول ذلك مانعاً من الأضرار، لأن ذلك

نور وارد من حضرة الله، وسر متلقى من الله، فله قوة الدفع للباطل وللسوى جملة لمضادة النور الساطع للظلام، فلا يجامعه بل يذهبه ويحو رسمه وأثره، ولا بقاء للأغيار مع سطوع أنواع المعارف والأسرار، وبذلك يحصل تبرى العبد من حوله وقوته على دوام أوقاته.

ويقال : من لم يكن له سر فهو مُصر.

وقال الشاذلي رضى الله عنه «من لم يتغلغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر».

وإنما سأل ذلك دون الوقوع فى الذنب جملة، لأنه متعذر من غير المعصوم كما قيل :

من ذا الذى ما ساء قط ؟ ومن له الحسنى فقط ؟

وأجيب قائله بأن قيل له

محمد الهادى الذى عليه جبريل هبط

ولما كان متعذرا من غير المعصوم، أثنى الله على من لم يصبر بقوله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ (١) ولم يقل تعالى «ولا يفعلون» مع أنه مظهر العفو والغفران.

وقد قال عليه الصلاة والسلام «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم» (٢).

وفى دعاء لواضع الحزب رضى الله عنه «اللهم صلنى باسمك العظيم الذى لا يضر معه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهب لى منه سرا لا تضر

(١) آل عمران : ١٣٥ .

(٢) جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم».

مع الذنوب شيئاً» يعنى لعدم الإصرار ولا اندراج أسمائه وصفاته فى أسماء الحق وصفاته ، فلا شعور له حينئذ بنسبة شىء إليه مما يجرى عليه .

وإليه يشير قول الإمام الجنيد رضى الله عنه «وكان أمر الله قدراً مقدوراً» لما قيل له «أيزنى العارف؟» - وفيه إيحاء لسر الفرق بين معصية الولى والفاجر .

وقد قال الشيخ سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه «إن الفرق بين معصية المؤمن والفاجر من ثلاثة أوجه :

- * المؤمن لا يعزم عليها قبل فعلها .
- * ولا يفرح بها وقت الفعل .
- * ولا يصر عليها بعد فعلها .
- والفاجر ليس كذلك .

وقال سيدى عبد الكريم الجيلى فى قصيدة له عينية :

أرانى كالآلات أنت محركى	أنا قلم والاقتماد الأصابع
ولست بجبرى ولكن مشاهد	فعال مرید ماله من يدافع
فأونة يقضى على بطاعة	وحينا بما عنه تنهى الشرائع
كذلك ترانى كنت أترك أمره	وأتى الذى ينهاه والجفن داعم
ولى نكتة غراء سوف أقولها	وحق لها أن ترعووها المسامع
هى الضرق ما بين الولى وفاسق	تنبه لها فالأمر فيه بدائع
وما هو إلا أنه قبل وقعه	يخبى رقبى بالذى هو واقع
فأتى الذى يقضيه فى مراده	وعينى له قبل الضعال تطالع
فكنت أرى فيها الإرادة قبل ما	أرى الضعل منى والأسير مطاوع
فأتى الذى تهواه نضى ومهجتى	لذلك فى نار خبهتا الأضالع
إذا كنت فى حكم الشريعة عاصيا	فإنى فى حكم الحقيقة طائع

يشير إلى مطالعة تنزل الأمر والقدر في الغيب قبل انتشار ذلك على الجوارح.

وبذلك يتضح لك حديث «فحج آدم موسى»^(١) وأن الذي جرى عليه كان بمطالعة قدر سابق وأنه ليس ذلك لغيره، إلا لمن كان شبيهاً به منه^(٢)، كأن يكون من أهل الغيبة في الباطن، بحيث يكون كالتائم، فإن لم يكن نائماً فيعذر لما قهره من وارد الحق، واصطلمه من تصرفات الجبر، وذلك خاص بأهله، فليسلم لهم في الجملة، على أنه قد يعمل بالقدر إن لم يكن على وجه الانتصار للنفس والاحتجاج لها لمناقضة ذلك بالعبودية، بل مجرد إخبار عن قدرة الله تعالى عليه، ونفوذ تقديره فيه، مع شدة افتقار ودوام انكسار، وقد يحمل على ذلك حديث «حج آدم موسى».

(١) ورد في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «تحتاج آدم وموسى، قال موسى: أنت آدم أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته، أغويت الناس، وأخرجتهم من الجنة» فقال آدم: «أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، تلو منى على أمر قدر على قبل أن أخلق؟» فحج آدم موسى ثلاثاً: وهذا الحديث الشريف يشير إلى «الشريعة» و«الحقيقة» فالشريعة ماورد به التكليف والحقيقة ماورد به التعريف.

يقول صاحب المفاخر العلية «الشريعة القيام بشروط العلم، والحقيقة الاستسلام لغلبة الحكم، والشريعة خطابه لعباده وكلامه الذي أوصله إلى خلقه بأمره ونهيه ليوضح لهم المحجة ويقوم به الحجة، والحقيقة تصريفه في خلقه وإرادته ومشيتته التي يخص بها من اختاره من أحبائه، ويقضى بها على من أبعده عن بابه.. وقيل الشريعة أن تعبدته والحقيقة أن تشهده. المفاخر ص ١٨٤.

(٢) وقال صاحب المفاخر العلية. فإن قيل إن موسى عاتبه (أى آدم) على مخالفة الأمر، فاحتج هو بالحقيقة ونفوذ الحكم، فإن كان هذا الاحتجاج مقبولاً فلم لا يقبل من المشركين في قولهم (لو شاء الله ما أشركنا) وفي قوله (أنظم من لو يشاء الله أطعمه) فإنه احتجاج بالحقيقة ونفوذ الحكم، وهو احتجاج لا يعارض به الشريعة! قال بعض العلماء. هذا كلام حق أرادوا به باطلاً، فلا يقبل منهم، فإنهم لم يقولوه توحيداً ولا تسليماً، فلو قال ذلك عاص تاب من ذنبه نادماً على ماسلف، ثم غيرته إنسان بذنبه بعد توبته ورجوعه إلى حال الصلاح فاحتج بالحكم، فذلك مقبول في الشريعة. وقال لى أستاذى قل نؤمن بالقدر ولا نحتج به إلا في المصائب لا في المعائب إلا للتائب، المفاخر ص ١٨٥.

وفى الحكم «إن القضاء والقدر غلبانى اعتذارا واعترافا، والله عز وجل أكرم من أن يرد عذر من اعتذر إليه أو يخيب أمل من اعترف بذنبه أو أقر بعجزه إليه».

وقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَيَّ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴿١﴾ افتح بهذه الآية لما تعطيه من قوة الرجاء للمتوجهين القادمين، فهى فى ذلك نظيرة حديث «من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً»^(٢) ولما قيل «من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه برحمته» ولقتضى آية ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٣) ففى ذلك ترغيب فى التوجه إلى الله والإقبال عليه «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن» الحديث^(٤).

(١) الأنعام : ٥٤ . نزلت هذه الآية فى الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم، فعلى هذا كان السلام من جهة النبى صلى الله عليه وسلم، وقيل إنه من جهة الله تعالى، أى أبلغهم السلام - وقال الفضيل بن عياض «جاء قوم من المسلمين إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنا قد أصبنا من الذنوب فاستغفر لنا فأعرض عنهم فنزلت الآية. ومنسوب لابن عطاء الله رسالة مخطوطة فى شرح هذه الآية بدار الكتب المصرية برقم ٨١ تصوف.

وكأنما أراد الشيخ رضى الله عنه باستهلال الحزب بهذه الآية الكريمة، أن يرشدنا إلى الجرعة الأولى من دواء النفوس الخبيثة، بخلع ثوب التمرد والعصيان، والإقبال بالتوبة والإيمان على الله والرسول، حتى يتم الظفر بسلامهما.

وفى هذه الآية الكريمة أيضا إشارة إلى التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تتحقق رحمة الله عز وجل لقوله تعالى : «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا».

(٢) الحديث عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال : «إذا تقرب العبد إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إلى ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة».

(٣) الأعراف : ٥٦ .

(٤) الحديث لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة متفق عليه.

اللهم إنك تعلم أنى بالجهالة معروف
وأنت بالعلم موصوف ، وقد وسعت كل
شئ من جهالتي بعلمك فسع ذلك
برحمتك كما وسعته بعلمك واغفر لى
إنك على كل شئ قدير .

يا الله يامسالك ياوهاب هب لنا من
نعماك ما علمت لنا فيه رضاك ، واكسنا
كسوة تقنا بها من الفتن فى جميع عطاياك
وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصا مما
استأثرت به فى علمك عن سواك .

إنى بالجهالة معروف

- اعتراف العبد بجهالته
- وسع علمه كل شئ
- وسعت رحمته كل شئ
- دعوات المكروب
- دعاء فاطمة الزهراء
- العافية ومعناها
- لفظ الجلالة وحظ العبد منه
- أصدق كلمة قالتها العرب

(قوله: الر. كهيعص. حمعسق)^(١) المتبادر أنه قصد فوائح السور القرآنية، ويحتمل أنه لم يقصد قرآنا، وإنما جرى على ما وافق نظم القرآن. وقال بعضهم «معرفة الحروف والأسماء من خصائص علوم الأنبياء من حيث كونهم أولياء». وكذلك تقع المشاركة في العلم بها بين الأنبياء والأولياء وهي من علوم الكشف، فلا فائدة للتصرف فيها والكلام عليها ببضاعة العقل. بل لا يعرفه من جهله، ولا يجهله من عرفه، وكل علي حسب ما فتح له، ولذلك يتفاوت فيها أهلها، ويقع الاختلاف منهم فيما يشيرون إليه فيها، تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض.

* * *

وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فى (كهيعص) إن الكاف من (كافى) والهاء من (هادى) والياء من (حكيم) والعين من (عالم)^(٢) والصاد من (صادق).

وقال بعضهم : وكما يستدل بالاسم على الذات، كذلك يستدل بكل حرف من حروف الاسم على حقيقة من حقائق الذات ووصف من أوصافها إذا أتى أو فعل ولا يقتصر فى دلالة الحرف على صفة واحدة من الصفات بل كل صفة كانت مفتوحة بذلك الحرف دل عليها ذلك الحرف، وقاعدة ذلك إن كان اسم مدح فكل حرف من حروفه يدل على صفة شريفة، وإن كان اسم ذم فكل حرف منه يدل على صفة مذمومة وذلك من تيسير تعليم الله آدم عليه السلام الأسماء كلها ونطقه بها بجميع اللغات، فكل اسم فهو دال على ما وضع له بكلمة وبعضه والله أعلم.

(١) (الر) أول سورة يونس و (كهيعص) أول سورة مريم و (حم . عسق) أول سورة الشورى - ونسخة الترمذى من الفاسيين وهى المشهورة بدأت بـ (الر) وفى بعض النسخ بـ (الم) بدله وعليها علامة الصحة - كذا فى شرح الزبيدى.
(٢) فى نسخة والياء من (يا الله) والعين من (عليم).

وعن ابن عطية: سأل رجل النبي ﷺ عن (حم) فقال: «بدء أسماء وفواتح سور» انتهى.

قال الهروي: وفي الحديث «إذا بيتم فقولوا حم لا ينصرون» قال أبو عبيدة «كان المعنى اللهم لا ينصرون» انتهى.

وذكر في القوت عن علي كرم الله وجهه «يا كهيعص أعود بك من الذنوب التي توجب النقم وتغير النعم أو تهتك العصم، أو تحبس غيث السماء، أو تزيد من الأعداء. انصرنا على من ظلمنا» وهو مما يشير لكونها أسماء الله فيستغاث بها^(١).

ونقل سيدي عبد النور عن سيدي عبد الله بن سلطان وكان من أصحاب الشاذلي رضي الله عنه أنه قال «رأيت في النوم كأنى أختلف مع بعض الفقهاء في تفسير قوله تعالى (كهيعص . حمعسق) بما أجرى الله تعالى على لساني أو قاله فقلت هي أسرار بين الله تعالى وبين رسوله ﷺ فكانه قال (كاف) أنت كهف الوجود الذي يأوى إليه كل موجود (ها) هنيئا لك الملك وهيانا لك الملكوت (يع) ياعين العيون (ص) صفاتي أنت، من يطع الرسول فقد أطاع الله (ح) حسيناك (م) ملكناك (ع) علمناك (س) سررناك (ق) قريناك. قال فنازعوني في ذلك ولم يقبلوا منى، فقلت نسير إلى النبي ﷺ ليفصل بيننا فسرنا فلقينا النبي ﷺ فقال لنا: «الذي قال محمد بن سلطان هو الحق» (انتهى).

وفي نوادر الأصول: أن فواتح السور فيها إشارة حشو مافي السور ولا يعلم ذلك الا حكماء الله في أرضه وأوتاد أرضه، وصلوا إليه فيه ونالوا

(١) وعن علي كرم الله وجهه هو اسم الله عز وجل، وكان يقول (يا كهيعص اغفر لي) ذكره الغزنوي. وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقال السدي «هو اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب». وقال قتادة «هو اسم من أسماء القرآن» ذكره عبد الرزاق عن معمر عنه.

هذه الحكمة وهم نجباء الحكماء قوم وصلت قلوبهم إلى فردانية، تناولها هذا يعلم من الفردية وهو علم حروف المعجم وبهذه الحروف لغير العلوم كلها، وبالخروف ظهرت أسماؤه حتى غيروها بالألسنة (انتهى).

وفي تفسير الورتجيني: الحروف المقطعة رموز معاني سور القرآن لايعرف تلك الرموز إلا الربانيون. (انتهى).

ويرد عليه أنه ورد رمز متحد في سور متعددة مختلفة المعاني نحو (الر) ^(١) و(حم) ونحو ذلك ويجاب بأن الرمز كالمشترك بين معان، وقد قيل في ختم ترجمة (حمعسق) ^(٢) بالقاف أنه لما بسط رحمته وذكر

(١) روى على بن الحسين عن أبيه عن يزيد أن عكرمة حدثه عن ابن عباس (الر) و(حم) (نون) حروف الرحمن مفرقة. وعن ابن عباس أيضاً: معنى (الر) أنا الله أرى. وقال الحسن وعكرمة (الر) قسم. وقال سعيد عن قتادة (الر) اسم السورة وقال وكذلك كل هجاء في القرآن.

(٢) سئل الحسين بن الفضل: لم قطع (حم) من (عسق) ولم تقطع (كهيعص) و(الر) و(المص) فقال لأن (حم عسق) بين سور أولها (حم) فجرت مجرى نظائرها قبلها وبعدها، فكان (حم) مبتدأ و(عسق) خبره، ولأنها عدت آيتين وعدت أخواتها اللواتي كتبت جملة آية واحدة. وقال القشيري: لو فصل هذا ووصل هذا لجاز - وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس (حم - سق).

وقال ابن عباس: وكان على رضى الله عنه يعرف الفتن بها. قال رجل لابن عباس وعنده حذيفة بن اليمان: أخبرني عن تفسير قوله تعالى (حم . عسق) فأعرض عنه حتى أعادها عليه ثلاثاً فأعرض عنه. فقال حذيفة بن اليمان: أنا ابتك بها، قد عرفت لم تركها، نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله أو عبد الله، ينزل على نهر من أنهار المشرق، يبني عايه مدينتين، يشق النهر بينهما شقاً، فأراد الله زوال ملكهم، وانقذ دولتهم، يبعث على إحداهما ناراً ليلاً فتصبح سوداء مظلمة، فتحترق كلها كأنها لم تكن مكانها فتصبح صاحبها متعجبة كيف قلبت!! فما هو إلا بياض يومها حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد، ثم يخسف الله بها وبهم جميعاً، فذلك قوله (حم . عسق) أى عزيمة من عزمات الله وفتنة وقضاء. (حم) حم و(ع) عدلان منه (س) سيكون و(ق) واقع في هاتين المدينتين.

وذكر القشيري، واللفظ للشعلبي: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية عرفت الكتابة في وجهه، فقيل له: يا رسول الله، ما أحزنك؟ قال أخبرت ببلايا تنزل

ملكه وعظمته وسيادته وتقديسه طمعت القلوب فى الأمن من مكرهه ، فذكرهم قهره ليزكروا سطوته لتحصل لهم حالة بين الخوف والرجاء وتسمى الإشفاق ، وجلب الحروف الأخرى مفتوحة (بالكاف) الدالة على الكفالة والكفاية والكرم ليعلمك أن أرزاق العباد مضمونة وأنهم عياله وأن من مقتضى كرمه دارت عليهم أرزاقهم و (بالهاء) الدالة على اسم الهادى إشارة إلى أنه يهدى من يشاء من عباده ثم ختم (بالصاد) الدالة على صدقه فى إنفاذ ما قضاه من وعده ووعيده (انتهى) .

وقال الشيخ البلخى فى شرح حزب البحر : اعلم أن كل سورة من القرآن لاسيما السور المفضلة كالبقرة وآل عمران ويس والسجدة تبارك وغيرها لها أنوار وحقائق يشاهدها أولياء الله تحيط بركتها وأنوارها وأسرارها بالمؤمنين ، ولك سورة خصوصية خصها الله عز وجل بها^(١)

من خسف وقذف ونار تحشرهم وريح تقذفهم فى البحر وآيات متتابعات متصلات بنزول عيسى وخروج الدجال .

وروى جرير بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «تبنى مدينة بين دجلة ودحبل وقطربل والصرارة ، يجتمع فيها جبابرة الأرض ، تجئ إليها الخزائن يخسف بها - وفى رواية بأهلها - فلهى أسرع ذهابا فى الأرض من الورد الجيد فى الأرض الرخوة .

وروى نافع عن ابن عباس : (الحاء) حلمه و(الميم) مجده ، و(العين) علمه و(السين) سنه و(التاف) قدرته أقسم الله بها وعن محمد بن كعب : أقسم الله بحلمه ومجده وعلوه وسنائه وقدرته ألا يعذب من عاذ بلا إله إلا الله مخلصا من قلبه - وقال جعفر بن محمد وسعيد بن جبير (الحاء) من الرحمن و(الميم) من المجيد و(العين) من العليم و(السين) من القدوس و(القاف) من القاهر - وقيل : هذا فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم فى (الحاء) حوضه المورود ، و(الميم) ملكه الممدود و(العين) عزه الموجود و(السين) سنه المشهود و(القاف) قيامه فى المقام المحمود وقربه من الملك المعبود . وقال ابن عباس : ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحى إليه «حم . عسق» فلذلك قال «كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك» .

(١) أوضح الإمام الحبر العلامة الشيخ داود الشاذلى المعروف بابن ماخلا رضى الله عنه فى كتابه (اللطفة المرضية بشرح حزب الشاذلية) سر اختيار الولي لآيات معينة من سور متفرقات فقال :

وآثار من حفظه وبركته، وربما يأتي عذاب من فوقه فيكون نور يس وقاية له، وربما أحاط به فيكون نور تبارك مانعا له، وربما قصده عبد بسوء فكفاه الله تعالى بكهيعص وحماه بجمعسق. وقد أعلم الله عز وجل أن العذاب

«ولخصوص هذه الآيات ومنافعها وترتيبها فضل عظيم لا يطلع عليه إلا العارفون بالله أهل التخصص والعناية كشفا ومشاهدة، ويعلمون شيئا من تأثيراتها وعجائب قدرة الله تعالى عند تلاوتها، ونور من الله تعالى وهداية».

ثم يقول ابن ماخلا ويحتمل أن يكون في جمع هذه الآيات والآثار ونظمها هكذا خصوص تأثير منع العدو (يقصد الشيطان) ومن التسليط، أطلع عليه أولياء الله تعالى، وترتيب القرآن العظيم لهداية العامة ونور القلب، وتعريف سلوك طريق الآخرة وتهذيب النفوس وخصائص لا يحصيها إلا الله تعالى مجموعا بجملة كلمة. وقد يكون للآية وحدها أثر مالم ينضم إليها غيرها، فإذا انضم ذهب ذلك الأثر الخاص وجاء أثر غيره، هذا ظاهر كما تأتي آية رحمة ينشرح لها القلب وينسط، ثم يأتي بعدها آية عذاب فينقبض لذلك. والتأثير في القلوب كالتأثير في الظواهر. ومن ذلك فقد شرع أن يقول عند الذبح (بسم الله) ولا يقول (الرحمن الرحيم) لمناسبة الموطن. وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم أول سورة يس فغشيت عنه أبصار الذين جلسوا لاغتيا له، وما يدريك أنه لو قرئت بقية السورة لخصوص أثر آية فيها أخرى لاتدفع ذلك الأثر، ولتخصص النبي صلى الله عليه وسلم بعض السورة مايدل على ذلك. ومن ذلك ما جاء أنه يقرأ على المصروع بآخر آية من سورة المؤمنين ولم يقل بكل السورة. فإياك أن تجول بعقلك فتقول السورة كلها مشتملة على جزئها. والقرآن كله مشتمل على كل الفوائد، فليس للمقول هنا مجال والأمر أعظم من ذلك. وليس هذا بوضع قياس، وقد تبين أنه قد يكون للشئ خصوصية بانفراده لاتكون له حال جمعه، وقد تقرر في العادة أن الدواء إذا انفرد يؤثر أثرا خاصا لا يؤثر حال تركيبه مع غيره. وكذلك إذا ركبت الأدوية تركيبا خاصا، كالشئ وما يقاربه في المزاج ويقويه، أثرت تأثيرا خاصا، وإذا اجتمعت مع غيرها مما يضادها تدافعت خواصها، وصار لها تأثير حصول أصل الصحة واعتدال المزاج، وذلك ظاهر كميل المزاج إلى الحرارة والبرودة.

«وجواب آخر: يحتمل أن يكون الشيخ رضى الله عنه اطلع من الله تعالى على وجه يجوز له أنه لو قرئ فيها ما أخذت. لا لخصوصية في الحزب، بل كرامة لولي. ويجوز أن يكرم الله تعالى وليا من أوليائه، ويحفظ لأجله بلدة أو إقليما - وقد نقل عن الشيخ أبي العباس الراسي ويعرف بالمرسي رضى الله عنه نزيل الإسكندرية أنه كان يقول: هذا الساحل محفوظ مادمت حيا يعنى ساحل الإسكندرية إلى دمياط، حتى كان يقال إن الفرغ يأتون بمراكبهم لقصد القتال، فيحسبون فيقولون:

- مادام هذا القسيس ها هنا، لا سبيل لنا إليهم !!

مواجه للعباد من فوقهم ومن تحت أرجلهم لولا رحمته، والقرآن رحمة كمال قال الله تعالى «هدى ورحمة». ثم قال: ويحتمل أن يكون الشيخ أراد به (يس) حروف هجاء؛ غير قاصد التلاوة، وقد وقع في كلامه ذكر

وليلة مات نزل الفرغ إلي دمياط النوبة المشهورة، وذلك مشهور من أمره، ومن هذا الجنس كثير أكرم الله تعالى به أوليائه،

«وما بين ذلك بيانا ظاهرا أن القرآن العظيم مشتمل على أسماء عظيمة لها خصائص وآثار، قال العارفون بالله تعالى إن فيه أسماء يمشى بها على الماء. وأسماء يسار بها في الهواء وغير ذلك، وبالجملة فلا إشكال أن فيه الاسم الأعظم لأنه اخترى على كل علم، فلا بد أن يكون فيه الاسم الأعظم، وهو يشتمل ذلك كله. وقد ذكر علماء التفسير والنقل، وعلماء الحقيقة أيضا أن فيه الاسم الأعظم، وربما عينا موضعه، وجاءت فيه أيضا أحاديث، ومع ذلك فكثير من الناس يقرأ القرآن كله، ويدعو بالاسم الأعظم الذي جاءت فيه الآثار، ولا يجد أثر الإجابة ظاهرا، وما ذلك إلا أنه يسر في التالي، وأمر وراء عقل العقلاء».

«وكذلك أيضا تسمع القرآن من الرجل الصالح، فتري له أثرا وفائدة، وتسمعه من غيره فلا يؤثر عندك، فنعلم بذلك أن الأمر خلاف ماتظن، والحق تبارك وتعالى خص أوليائه بما هو فوق العقول.

«وأخبرك يا أخى بامر عجيب بعد كتابتي هذا الكلام في هذا الوجه المذكور فيه هذه المسألة بيوم أو يومين عند ذكر مثال الأدوية، وأنه قد يكون للقرآن خاصية ولمفرداته خواص لا تكون للمجموع. رأيت في كتاب فيه أخبار الصالحين:

«قال أبو الحسن بن سالم إن لله اسما يمشى به على الماء واسما يطار به في الهواء واسما لو كتبه على ريثة ثم طرح في نهر انشق الماء إلى الأرض ومضى الاسم في الأرض - ثم قال وفي يس اسم يبرأ به الأكمه والأبرص، وفيه اسم من دعا به طار في الهواء، قال ولله عباد أودعهم هذه الأسماء منهم الصديقون والأبدال والأوتاد والقطب وهي في القرآن مجتمعة الأحرف ومثلها متفرقة مثل (الرحمن) (مجموعها (الرحمن)). قيل له رأيت لو دعا إنسان بيس والقرآن كله أن يعطى شيئا أيمن ذلك؟ قال: يابنى رأيت لو جاء رجل إلى دكان سيدلاني فأخذ كل شيء عنده فشربه لدوائه أكان ينفعه ذلك؟ كذلك هذه الأسماء لاتفتح إلا لمن عرفها بأعيانها وعرف كل اسم وما يصلح له، فإذا كان كذلك ودعا بها استجيب له على المكان بإذن الله تعالى، انتهى مانقلناه عن ابن ماخلا.

ويمكن القول تعليقا على ماتقدم، إن لكل حالة دعاء ونداء، كما أن لكل مزلاج مفتاحا.

حروف هجاء فى قوله «وحم سران من سرك» ونون صاد ونحوه، وهذا من معرفة خصائص الحروف، وعلمها المختص بها للأولياء. (انتهى).

ولكن يرجح قصده فواتح السور قوله فى بعض أحزابه بحرمة السبعين والثمانية^(١) وأسارهما، ثم قال اكفى بهم السبعين والثمانية؛ فإن هذا العدد هو عدد فواتح السور كما ألهمت ذلك بحمد الله تعالى^(٢).

(١) ورد هذا فى حزب الفتح المشهور المعروف بالبركات، وبه فتح على الإمام أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه، ويسمى حزب الأنوار أيضا، وهو رواية ابن الصباغ فى درة الأسرار، وقراءته تكون بعد الصبح وقد جاء به :
«يامن به ومنه وإليه كل شىء، أسألك بحرمة الأستاذ، بل بحرمة النبى الهادى، وبحرمة الاثنين والأربعة، وبحرمة السبعين والثمانية، وبحرمة أسرارهما منك إلى محمد رسولك، وبحرمة سيدة أبى القرآن... الخ».

(٢) راجعنا عدد حروف أوائل السور، فنبت أن مجموعها ثمانية وسبعون حرفا.

(ألم) ١٨ لأنها ٣ حروف وذكرت ٦ مرات فى كتاب الله.

(والر) ١٥ حرفا لأنها ٣ حروف وذكرت ٥ مرات.

(طسم) ٦ حروف لأنها ٣ حروف وذكرت مرتين.

(وحم) ١٢ حرفا لأنها حرفان وذكرت ٦ مرات.

(المص) ٤، (المر) ٤، (كهيعص) ٥، (طه) حرفان، (طس) حرفان، (ويس)

حرفان، (ص) حرف واحد، (جمعسق) ٥ حروف، (ق) حرف، (ن) حرف.

الر
كهيعص
حمعسق

رب احكم بالحق وربنا الرحمن
المستعان على ماتصفون .

طه : ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى .
إلا تذكرة لمن يخشى . تنزيلا ممن خلق
الأرض والسموات العلى . الرحمن على
العرش استوى . له ما فى السموات وما فى
الأرض وما بينهما وما تحت الثرى . وإن تجهر
بالقول فإنه يعلم السر وأخفى . الله لا إله
إلا هو له الأسماء الحسنى .

أَوَائِلُ السُّورِ

- ما قيل فى أوائل السور
- فائدة نبوية عند لقاء العدو
- خصوصية وسر كل سورة وآية

(قوله وقد وسعت كل شيء من جهالتى بعلمك فسع ذلك برحمتك كما وسعته بعلمك) هذا انعطاف منه ورجوع إلى ما افتتح به من صريح قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾^(١)، واقتضاء الجميل وعده تعبدًا له وتذللًا إليه وتلقًا بين يديه يعنى اعترافه بالجهالة المؤدية لارتكاب السوء مع علمه تعالى، وتنزيهه عما اتصف به العباد من الجهل المطلق لاتصافه تعالى بالعلم الشامل المطلق^(٢) ثم سأل الله تعالى أن يسع جهالته المطلقة برحمته المطلقة كما وسع ذلك بعلمه المطلق وذلك مقتضى لتغطية نقص العبد بكمال ربه فيصير به وإليه ومندرجاً في مادته بإمداده وتأييده كما قال: «وأدرج أسمائى تحت أسمائك» وصفاتى تحت صفاتك^(٣) وكما فى حديث التقريب، وكما قال فى الحكم «لو أنك لاتصل إليه إلا بعد محو مساويك، وترك دعاويك، لم تصل إليه أبداً، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعمتك بنعمته، فوصلك إليه بما منه إليك، لا بما منك إليه».

(١) الأنعام : ٥٤ .

(٢) نقول إن المرء بالجهالة معروف لقوله سبحانه «وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً» والله موصوف بالعلم لأنه السميع العليم . فقول الأستاذ «وسعت كل شيء من جهالتى» أى أتأمتى وذنوبى . قال تعالى «إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة» وقال سبحانه «... أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم» .. وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو «اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى . اللهم اغفر لى هزلى وجدى وخطيئى وعمدى وكل ذلك عندى . اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى . أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير» .

(٣) من أدعية الأستاذ - أى الشيخ أبى الحسن الشاذلى - رضى الله عنه : «اللهم صلنى باسمك العظيم الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم، وهب لى منه سرّاً لاتضر مع الذنوب شيئاً» ثم يقول فى الدعاء «وأدرج أسمائى تحت أسمائك وصفاتى تحت صفاتك وأفعالى تحت أفعالك، درج السلامة وإسقاط الملامة وتنزل الكرامة وظهور الأمانة» رواه ابن عطاء الله فى لطائف المنن وذكره ابن الصباغ فى درة الأسرار والمفاخر العلية ص ٢١٨ و ٢٤٦ .

وفى بعض أدعية واضع الحزب رضى الله عنه «وأعطني من سعة رحمتك على سعة علمك وهى التى لم تدع للخير مطلباً، ولا للشر مهرباً»^(١) ويقول أثناء الحزب «أسألك أن تعطينا خير مانفذت به قدرتك وتعلقت به مشيئتك وأحاط به علمك واكفنا شر ما هو ضد لذلك» وهو إشارة إلى أن يتولاه الله فى جميع أموره حتى يكون قائماً بتدبيره مراعيًا لشئونه ومغتنياً به فى تحصيل خيوره ودفع شروره على وجه لا يكون فى الإمكان أكمل وأليق لحاله منه.

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام «اللهم كلاءة ككلاءة الوليد»
ومن دعائه عليه الصلاة والسلام أيضاً «اللهم يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين»^(٢) زاد فى الحديث «ولا أقل من ذلك».

وفى الحديث : «إذا سألتم الله فاسألوه العافية»
قال سهل بن عبد الله «أجمع العلماء رضى الله عنهم أن تفسير العافية «أن لا يكل الله العبد إلى نفسه وأن يتولاه»

(١) ورد هذا ضمن تعوذ للأستاذ يصلح أن يقال فى أول الليل وفى أول النهار وفى اثنتاهما . وأول هذا الدعاء «نعوذ بعزة الله وقدرته وبكلماته التامات من شر ما كان وما هو كائن فى هذا اليوم وفيما بعده إلى يوم القيامة وفى الدنيا والآخرة».. ثم يقول «أنت ربى وعلمك حسبى فنعم الرب ربى ونعم الحسب حسبى، فأعطني من سعة رحمتك على سعة علمك، وهى التى لم تدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً» المفاخر العلية ص ٢٤٩ .

(٢) روى الترمذى عن أنس أنه كان إذا أكرّب رسول الله أمر قال «يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث» . وفى سنن أبى داود عن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت» - وأخرج النسائى فى اليوم والليلة والحاكم من كلام أنس . قال صلى الله عليه وسلم لفاطمة الزهراء رضى الله عنها «يا فاطمة ما يمنعك أن تسمى ما أوصيك به؟ أن تقولى : يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله» .

وفى الحديث أيضاً «اسألوا الله التمكين والعافية».

قال فى نواذر الأصول «عليه العفو فى الآخرة والعافية فى الدنيا وكل واحد منها مشتق من صاحبه ومرجعهما إلى أن لاتخذل حتى تقع، وأن لاتصيبك الشدائد والبلاء والمكاره فى الدنيا وكذا فى الآخرة» انتهى .

وقد قال سيدى أبو العباس رضى الله عنه «إذا سألتكم الله تعالى فاسألوه العافية من حيث يعلمها عافية» .

وسياتى «ولا نسألك دفع ماتريد ولكن نسألك التأييد» والكلام عليه مما ذكرناه أن مطلوبه رحمة خاصة مرجعها لمحبة الله لعبده واعتنائه فى كل أموره التى من جملتها، بل وهو أهمها، تقريبه من جنبه وتأهيله لحضرة قدسه برفع حجابيه وإدامة ذلك له حتى يكون فى كل أموره بربه وحول الله وقوته لا بنفسه وقوته وحوله، وحينئذ يتضح ويتجه إفادة هذا الطلب وفائدته غاية ولايتطرق إليه من تحصيل الحاصل لقوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (١). وكذا قوله ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ (٢) لأن هذا الوسع عام صادق بالإيجاد ثم بالإمداد العام، وما نحن فيه طلب إمداد خاص ثم مع كونه خاصا مشروطا فيه أن لا يكون ثم أخص منه لتعليقه على وسع العالم وإحاطته فلا يتصور أنفع من هذا الدعاء ولا أبلغ فى الإفادة.

(قوله «يا الله») يجوز فيه قطع الهمزة فى كل حال من نظم ونثر وهو ما اختص به هذا الاسم الكريم كما لاينادى ما فيه الألف واللام إلا هو لما كثر تكراره فى الكلام والدعاء جاز فيه ما لم يجز فى غيره ثم ينبغى كما

قال الإمام حجة الإسلام الغزالي رضى الله عنه أن يكون حظ العبد من هذا الاسم التوله قال وأعنى أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله تعالى لا يرى غيره ولا يلتفت لسواه ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه، وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم أنه الوجود الحقيقى وكل ما سواه فان وهالك وباطل إلا به كما رواه عليه السلام حيث قال «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» متمثلا بقول الشاعر ومصداق له (١).

(قوله «من نعماك») بضم النون والقصر وهى النعمة، قال الجوهري وإن فتحت النون مددت، وسيأتى فى الحزب وأوزعنا شكر نعمائك بالفتح والمد والله أعلم.

(قوله «واكسنا كسوة تقنا بها») الرواية جزم تقنا بحذف الياء على الجواب للدعاء، ونظيره قوله تعالى إخبارا عن موسى عليه السلام فى دعائه ﴿ فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ (٢) وقوله تعالى إخبارا عن زكريا عليه السلام فى دعائه أيضا ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرْتُدَّنِي ﴾ (٣) على قراءة الجزم فيهما؛ على أن الاجتزاء بالكسرة عن الياء كما فى المعتل لغة ورد بها القرآن والله أعلم (٤).

(١) الشاعر هو لبيد بن ربيعة من المخضرمين عاش فى الجاهلية والإسلام، والبيت هو :
ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل
وقد قال صلى الله عليه وسلم «أصدق كلمة قالتها العرب قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل» رواه الشيخان عن أبى هريرة ورواه أحمد والترمذى.
(٢) الآية ٣٤ من سورة القصص .
(٣) مريم : ٥ - ٦ .
(٤) يقول الزبيدى فى شرحه لهذه الفقرة :
(واكسنا) بسكون الكاف وضم العين وقد يغلط هنا من لا دراية له بالتصريف . =

(قوله «واغضرتي») سقط عند سيدي عبد النور في خطه وثبت عند ابن الصباغ والله أعلم.

(قوله «وقد سنا عن كل وصف») في الصباغ وفي خط سيدي عبد النور أيضا وقد سنا عن كل وصف يعنى بالكسوة^(١).

(قوله «يوجب نقصا») خفيا تختص بعلمه فضلا عما كان جليا. ومن دعائه: «اللهم اغفر لنا ما علمه البشر من خلقك، واغفر لنا ما استأثرت به عنا وعن جميع خلقك»

(كسوة) أى لباسا والمعنى حلنا حلية.

(تقنا) مجزوم بحذف الياء على جواب الدعاء، وفي بعض النسخ (تقينا) بإثبات الياء، على أن الجملة صفة لكسوة والمعنى تحفظاً.

(بها من) كل - (الفتن) الكائنة.

(في جميع عطاياك) الظاهرة والباطنة، فمن الظاهرة المال والأهل والولد، والفتن الحادثة من هؤلاء شديدة الضرر على المؤمن. ومن الباطنة التوحيد وهو بحر لاساحل له وأحواله كثيرة هي فتنة.

(١) قال الزبيدي في شرحه (أى نزهنا عن كل ذميم من صفات النفس).

يا الله يا عظيم يا على يا كبير أسألك
الفقر مما سواك والغنى بك حتى لا نشهد إلا
إياك والطف بنا فيهما لطفاً علمته يصلح لمن
والاك واكسنا جلايب العصمة فى الأنفاس
واللحظات واجعلنا عبداً لك فى جميع
الحالات . وعلمنا من لدنك علماً نصير به
كاملين فى الحيا والمات .

اللهم أنت الحميد الرب المجيد الفعال لما
تريد تعلم فرحنا ، بما إذا ولماذا وعلى ما
فرحنا وتعلم بما ولماذا وعلى ماذا حزننا
كذلك وقد أوجبت كون ما أردته فينا ومنا
ولا نسألك دفع ما تريد ولكن نسألك التأييد
بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبياءك
ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك إنك
على كل شىء قدير .

الفقر والعصمة والعلم والتأييد

- الفقراء أغنى خلق الله
- لما افتقر أبو الحسن أخذ غنى الدنيا والآخرة
- هل تطلب العصمة من كل الذنوب؟
- العلم اللدنى وكيف تصل إليه؟
- المرتبة العلمية التى وصل إليها على كرم الله وجهه
- لماذا العلم النافع؟ .. العلم كالدراهم تضر وتنفع
- التأييد بروح منه

(قوله «نساءك الفقير مما سواك والغنى بك حتى لا تشهد إلا إياك») قال في القصد . قيل لى . أتريد أن يغنيك الله حتى يغنى بك من أحب أو توسل أو دعا أو سأل؟ قلت . كيف لى بذلك؟ قال لا تتخذ منهم عدوا ولا حيبا، انظر تمامه .

وفي حزب النور له . حسبى الله وأنا برئ مما سوى الله^(١) .
وفي الحكم . تحقق بوصفك يمدك بوصفه ، تحقق بفقرك يمدك بغناه .

يعنى إن من صح فقره إلى الله بانقطاعه إليه^(٢) وإياسه من سواه ، ومن جملة ذلك نفسه وحوله صح غناه بربه ، وذلك إنما يتحقق بغيبته عن فقره فى فقره ، وإلا كان معتمدا به ومنقطعا عن الله بكسبه وإلى ذلك تشير حكاية سيدى عبد السلام أبى الحسن المشهورة^(٣) وبالجملة فالغنى به تعالى يفيد العمل له لا لشيء والرجا منه لا بشيء ولا يرى للنفس نسبة لا فى نفى ولا فى وجود شيء ، وقد لوح إلى ذلك كله بقوله حتى لا تشهد إلا إياك والله أعلم .

(١) ورد فى حزب الفتح المشهور المعروف بالبركات - المفاخر العلية ص ٢١٤ ،
(٢) المقصود من الفقر مما سواه فقر القلب من كل شيء يشغله سوى محبة الله وذكره وحضوره وكل ما يقرب إليه .

قال أبو على الروزبارى : سألنى أبو بكر الرفاق فقال : يا أبا على لم ترك الفقراء أخذ البلفة فى وقت الحاجة؟ قال : فقلت : لأنهم مستغنون بالمعطى عن العطاء . فقال : نعم ، ولكن وقع لى شيء آخر . فقلت : هات أفدنى ما وقع لك؟ فقال : لأنهم قوم لا يتفهم الوجود إذ الله فافتهم ، ولاتضرهم الفاقة إذ الله وجودهم ، اللمع للطوسى ص ٧٤ وحكى عن سهل بن على بن سهل الأصبهانى أنه كان يقول : حرام على كل من يسمى أصحابنا الفقراء ، لأنهم أغنى خلق الله عز وجل .

(٣) جاء فى المفاخر العلية أن الأستاذ رضى الله عنه ، قال يصف لقاءه الأول بشيخه الولى القطب الشيخ عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه .

ولما قدمت عليه وهو ساكن برباطه فى رأس الجبل اغتسلت فى عين فى أسفل الجبل وخرجت عن علمى وعملى ، وطلعت إليه فقيرا وإذا به هابط على ، فلما رآنى قال مرحبا بعلنى بن عبد الله بن عبد الجبار وذكر لى نسبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لى : (يا على طلعت إلينا فقيرا عن علمك وعملك ، أخذت منا غنى الدنيا والآخرة) فأخذنى منه الدهش ، فأقمت عنده أياما إلى أن فتح الله على بصيرتى ورأيت له خرق عادات من كرامات وغيرها ، المفاخر العلية ص ١٤ .

(قوله «واكسنا جلابيب العصمة.. الخ») هو كقوله في حزب البحر نسألك العصمة في الحركات والسكنات.. إلى آخر ما ذكرناه من أسباب الاحتجاج عن الغيب، ومراده العصمة اللغوية وهي المنع مما ذكر بالستر من الوقوع فيه، وذلك جائز في حق النبي وواجب له وللملائكة.

وقد قال العراقي - رحمه الله - على حديث (والسلامة من كل إثم) «فيه جواز سؤال العصمة من كل الذنوب، وذلك جائز في حق غير الأنبياء وواجب لهم، وسؤال الجائز جائز» انتهى.

على أن العصمة في حق النبي لا تختص بما ذكر بل تعم كل ما لا يليق بمنصب نبوته الذي هو أخص منه حظ الولي مما ينافي ولايته فقط، ثم هذا الطلب من جملة ما يندرج فيما تقدم من طلب التقديس وغيره، ولكنه تفصيل بعد إجمال.

وسيقول أيضاً «واكسنا من نورك جلابيب العصمة»^(١) والجلابيب جمع جلباب وهي الملاء، استعارة للستر العام والله أعلم.

وقال الشيخ في شرح حزب البحر؛ عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واجبة لهم شرعاً، قال بعض العلماء؛ وعقلاً من دونهم ليس كذلك بل جائز، وأيضاً بأن عصمة غيرهم تُسأل لتنال، وعصمتهم عليهم الصلاة والسلام حاصلة من غير سؤال بعد أن قرر أن الشركة في الألفاظ الإضافية والصفات الظاهرة لا يلتزم منها شركة بين المتصفيين لتباين الوصفيين حال قيامهما بالمتصفيين، فكل على قدره، فلا مساواة. وفي الإحياء بعد كلامه رضى الله عنه على التأييد وأنه عبارة عن تقوية

(١) العصمة هنا في رأيي - ليست العصمة عن الآثام والذنوب فحسب. ولكنها أيضاً العصمة عن الانشغال عنه سبحانه في الأنفاس واللحظات أى النظرات. قال الشبلي رضى الله عنه «التصوف هو العصمة عن رؤية الكون» وقال أيضاً «التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك».

قال الله تعالى «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً». وقال سبحانه «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله».

البصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج، فكانه جامع للهداية التي مرجعها للبصيرة العلمية الكاشفة لما عليه الشيء في حقيقته، وللرشد الذي مرجعه إلى الإرادة الباعثة إلى جهة السعادة والتسديد الذي مرجعه إلى القدرة على توجيه الحركات إلى صوب المطلوب وتيسيرها عليه، قال ويقرب من التأييد الجامع لما ذكر العصمة، وهي عبارة عن وجود إلهي يرسخ في الباطن يقوى به الإنسان على تحرى الخير، وتجنب الشر، حتى يصير كمانع في باطنه غير محسوس» انتهى حاصله.

* * *

(قوله، وعلمنا من لدنك علما نصير به كاملين.. الخ) (١) رفع نصير على أن الجملة صفة لما قبله، ونظيره قوله تعالى (وليا يرثني) على قراءة

(١) قال الله تعالى «وعلمناه من لدنا علماً» وقال سبحانه «واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم» وقال تعالى «ومن لم يجعل الله له نورا فيما له من نوره» - وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه «كن بالله عالماً ومعلماً وكفى بالله هادياً ونصيراً وولياً».

والرياضة الصادقة والمراقبة الصحيحة توصلان المرء إلى تعلم ما لا يعلم. فقد قال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم أورثه الله العلم بما لم يعلم». وقال صلى الله عليه وسلم «من أخلص لله أربعين صباحاً أظهر الله تعالى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» (تراجع الرسالة اللدنية) للإمام الغزالي رضى الله عنه. وقد جاء فيها أيضاً «قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه: أدخلت لسانى فى فمى فانفتح فى قلبى ألف باب من العلم مع كل باب ألف باب» وقال «لو وضعت لى وسادة وجلست عليها، لحكمت لأهل التوراة بتوراتهم. ولأهل الإنجيل بإنجيلهم. ولأهل القرآن بقرآنهم، وهذه مرتبة لا تتال بمجرد التعلم الإنسانى، بل يتحلى المرء بهذه المرتبة بقوة العلم اللدنى». وقد طلب الشيخ علماً يتحقق به الكمال فى المحيا والممات. لأن طلب العلم وحده لا يكفى بل يجب سؤال العلم النافع. وفى الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم يسأل «علماً نافعاً» ويستعيذ من «علم لا ينفع» فالعلم كما ينفع قد يفسد.

يقول الأستاذ رضى الله عنه «العلوم على القلوب كالدراهم والدنانير على الأيدى، إن شاء نفعك بها وإن شاء ضرك معها» المفاخر العلية ص ٩٤ - ألم تر إلى قوله تعالى «فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين» - وقوله تعالى فى قصة بلعام ابن باعوراء «واتل عليهم نبأ الذى آتيناها آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين».

الرفع، لأنه لم يقصد به جواب الدعاء حينئذ، ولو قصد له جزمه كما تقدم له جزم (تقنا) على أن سر تخصيص كل بما اختص به صحة إسناد تقنا فيما تقدم إلى الله فيحسن فيه جواب الدعاء بخلاف نصير فيحسن فيه الوصف والله أعلم.

(قوله «ولانسألك دفع ماتريد ولكن نسألك التأييد بروح من عندك.. الخ») قال في القصد «رأيت كأني من النبيين والصدّيقين فأردت أن أكون معهم ثم قلت «اللهم أسألك بى سبيلهم مع العافية مما ابتليتهم فإنهم أقوى منى ونحن أضعف منهم» فقيل لى قل وما قدرت من شيء فقلت «فأيدنا كما أيدتهم» انتهى.

وفى دعاء لوضع الحزب رضى الله عنه «وأيدنا بروح منك حتى لانترتى أنفسنا وأهواءنا ولانتبع شيطاننا واجعلنا من حزبك فإن حزبك الغالبون» وكل ذلك موافق لآية ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾^(١) ومقتبس من نورها، والمراد به روح الوصلة واليقين، كما سيقول وانصرنا باليقين والتوكل عليه.

وفى حزب الإمام البرزلى (وانصرنى باليقين وأيدنى بالروح الأمين) يعنى جبريل عليه السلام.

وقد قيل فى تفسير الآية أيضاً والتأييد التقوية وهو نافع فى سر التجلى ونور الشهود لكونه حياة الروح وفيه قوتها.

وقد قال الورتجيني على قوله تعالى (وأيدهم بروح منه) :

«أيدهم الله تعالى لتجلى ذاته لأرواحهم، وما أبقاهم فى رؤية الصفات بل أغرقهم فى قاموس الذات لوجدوا فيه أسرار جواهر الربوبية، وحقائق أنوار الألوهية وذلك الوجدان لأنه نفخ من الأزل فى أرواحهم روح العارف فصارت أرواحهم مؤيدة بروح منه» انتهى.

وفى نواذر الأصول بعد ذكر التأييد بروح اليقين قال له القائل . ماروح اليقين؟ قال: «برد القربة من الرحمة والعطف فراحت بها من نور النفس وحرارتها وليس فيما قلت شفاء لأنك لم تصل إليه والشفاء لمن وصل واحتضى منه وذلك أن النفس خرجت من هوى المخلوقين إلى هوى القربة وكل الطيب هناك» انتهى.

وقال الكواشى فى تفسير الآية عن بعضهم «حياة الروح بالتأييد، وحياة النفس بالروح، وحياة الروح بالذكر، وحياة الذكر بالذاكر، وحياة الذاكر بالمذكور» - ثم قال «وأيدهم بروح منه» أى قواهم بنصره الحسى، سمى النصر روحاً لأن أمرهم يحيا به، والروح الإيمان أو القرآن أو الحجة أو الرحمة أو جبريل عليه السلام أيدهم الله به» انتهى.

واقصر غيره على تفسير الروح بالنور فى الآية.

اللهم فاطر السموات والأرض عالم
الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فهنيئاً
لمن عرفك فرضى بقضائك . والويل لمن لم
يعرفك بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك
ولم يرض بأحكامك . اللهم إن القوم قد
حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت
عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع
دونك فنسألك بدله ذلاً تصحبه لطائف
رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسألك
عوضه فقدأ تصحبه أنوار محبتك فإنه قد
ظهرت السعادة على من أحببته وظهرت
الشفاعة على من غيرك ملكه فهب لنا من
مواهب السداد واعصمنا من موارد الأثقياء .

هنيئاً لمن عرفك ورضى بقضائك

- الرضا بقضاء الله
- حكم بالذلة حتى عزوا
- حكم بالفقد حتى وجدوا
- سلب الولي بغير قطيعة
- طرد الابتلاء والامتحان

(قوله «بل الويل ثم الويل لمن أقربو حدانيتك ولم يرض بأحكامك») لأن حكم الواحد لا مهرب منه، وقهره لا محيص عنه، إذ لا غيره يجير منه ولا يهرب إليه، فكان في قضية الإقرار بالوحدانية الاستسلام والتسليم والرضا بما يجرى به القضا^(١).

قال في القوت: وروينا في الخبر المشهور ما معناه «يقول الله عز وجل خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت للخير وأجريت للخير على يديه والويل لمن خلقت للشر وأجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف؟» انتهى^(٢).

وما ذكر في الحزب من الإقرار بالوحدانية مع عدم الرضا خرج مخرج الدليل والبرهان عن تأكيد الويل في حق من لم يسلم ويرضى مع ذلك لأنها مخالفة مع العلم، ويتضاعف الويل على من علم ولم يعمل لما في ذلك من الجراءة فتشتد الجراءة، نسأل الله تعالى العصمة^(٣).

* * *

(١) الرضا هو باب الله الأعظم وجنة الدنيا، والرضا أن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله عز وجل.

قال الله تعالى «رضى الله عنهم ورضوا عنه» المائدة ١١٩ . وفي الحديث القدسي «قال الله تعالى: أنا الله لا إله إلا أنا. فمن لم يصبر على بلائي، ولم يشكر نعماتي، ولم يرض بقضائي، فليطلب ربا سواي» رواه الطبراني في الكبير وابن حبان وقيل إسناده ضعيف.

وقال الإمام على كرم الله وجهه: من قعد على بساط الرضا لم ينله مكروه أبداً. وسمعت رابعة العدوية رضى الله عنها رجلاً يقول: اللهم ارض عني، فقالت له: لو رضيت عن الله لرضى عنك.

(٢) الحديث رواه ابن شاهين في شرح السنة عن إمامه، وقيل إسناده ضعيف ونصه: روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «قال الله تعالى خلقت الخير وخلقته له أهلاً، وخلق الشر وخلقته له أهلاً، فطوبى لمن خلقت للخير ويسرته على يديه، وويل لمن خلقت للشر ويسرت الشر على يديه، وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف؟».

(٣) من أقوال الأستاذ رضى الله عنه: «حد السخط إرادة مالم يرد الله بالحكم». وقال أيضاً: «من آمن بالقسمة حرام عليه أن ينازع في الحكمة».

(«قوله اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا») هذا لأن تسلط الخلق على أولياء الله في مبدأ طريقهم سنة الله في أحبابه وأصفيائه وبذلك يتطهرون من البقايا وتتكمل فيهم المزايا، وكيف يساكنون الخلق باعتماد أو يميلون إليهم بإسناد، فإذا تمت أنورا هم، وتطهرت من البقايا أسرارهم، حگمهم في العباد وأذلهم لهم، فيكون العبد المجتبي سيفاً من سيوف الله ينتصر الله به لنفسه كما نبه على ذلك في لطائف المنن، وذلك من أسرار عدم مشروعية الجهاد من أول الإسلام والأمر بالصبر تشريعاً لما ذكرنا وتحذيراً من الانتصار للنفس أو عدم تمحيض النصر للخلق، وعند الرسوخ في اليقين والأمن من مزاحمة التصديق دفع في الإذن بذلك. هذا بالنسبة للصحابة الكرام رضى الله عنهم، وأما النبي ﷺ فكامل من أول نشأة على التقويم الأول في فطرته فذلك تشريع لا غير في حقه، وتعظيم وترفيع لرتبته.

على أنه قد تقدم: أتم طريق السلوك إلى الإمداد بأوصاف الخلق تحقق العبد بأوصافه، والذل من وصفه^(١). فالحق تعالى يتولى تدرجه في ذلك

=

ومن وصايا رضى الله عنه : ألق بنفسك على باب الرضا، وانخلع عن عزائمك وإرادتك.

وقال رضى الله عنه : سيئتان قل ما ينفع معهما كثرة الحسنات، السخط لقضاء الله والظلم لعباد الله، وحسنتان قل ما يضر معهما كثرة السيئات، الرضا بقضاء الله، والصفح عن عباد الله.

(١) قال الأستاذ رضى الله عنه «وتصحیح العبودية بملزمة الفقر والضعف والذل لله وأزادها أوصاف الربوبية فما لك ومالها، فلازم أوصافك وتعلق بأوصاف الله، فقل من بساط الفقر الحقيقى (ياغنى من للفقر سواك)، ومن بساط العجز (ياقدير من للعاجز سواك). ومن بساط الضعف (ياقوى من للضعيف غيرك)، ومن بساط الذل (ياعزيز من للذليل غيرك) تجد الإجابة كأنها طوع يدك».

فما يواجهه به من اقتضاء الخلق له وجفاهم ، ليتأهل للاعتزاز بربه والياس من خلقه^(١) . فسبحان المدير الحكيم اللطيف .

* * *

(قوله «وحكمت عليهم بالافقد حتى وجدوا») وهذا أيضاً لأن من استحلّى حالاً أو ساكن مقاما ، فمن سنة الله مع أوليائه تشويش ذلك عليهم ، وهو من غيرته تعالى على قلوبهم لثلاث آتاله لغيره ، ولثلاث تتغير بسواه . وقد تقدم فى الحزب «واجعلنا عبيدا لك فى جميع الحالات» وشتان بين من يعبد ربه لربه وبين من يعبد له لقلبه^(٢) .

وقد قال أبو الوفا الشريف المقدسى رضى الله عنه «قد يسلب الولي الحال بغير قطيعة من الحق ليزداد بذلك فقرا إلى الله عز وجل وتواضعا وفاقا ومعرفة بعجزه وضعف نفسه وهو باب الفقه فى علم الأحوال» انتهى .

قال فى نوادر الأصول «عن أبى ذر رضى الله عنه أن الله يقول يا جبريل انسخ من قلب عبدي المؤمن الحلاوة التى كان يجدها ، قال فيصير العبد المؤمن والها طالبا للذى كان يعهده من نفسه ، نزلت به مصيبة لم ينزل به

(١) قال الأستاذ رضى الله عنه فى قوله تعالى «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» فعزة المؤمن أن يمنعه الله من التعبد للفسس والهوى والشيطان والدنيا أو لشيء من المكونات فى الغيب والدنيا والآخرة (المفاخر ص ٨٦) .

وقال رضى الله عنه فى قول بعضهم : من أراد عز الدارين فليدخل فى مذهبنا هذا يومين ، قال له القائل : كيف لى بذلك ؟ قال : فرق الأصنام عن قلبك ، وأرح من الدنيا بدنك ، ثم كن كيف شئت ، فإن الله لن يدعك .

(٢) قال الزبيدى فى شرحه لهذا الحزب المعروف به تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير : «(وحكمت عليهم بالافقد) أى سلبت عنهم وصف الأنانية والكبر والملاحظة للغير وذلك فى أقصى سلوكهم ، (حتى وجدوا) مطلوبهم ، وهو الإشارة إلى مقام فناء الفناء الذى هو الاستهلاك الكلى المعبر عنه بقوله «موتوا قبل أن تموتوا» فالفاقد هنا هو الواجد ، والناظر لنفسه هو الفاقد المفقود .

مثلها قط ، فإذا نظر الله إليه وهو على تلك الحالة قال يا جبريل رد إلى قلب عبدي مانسخته منه فقد ابتليته فوجدته صادقا وسأمدته من قبلي بزيادة» انتهى .

* * *

(قوله «تصحبه أنوار محبتك») يعنى أنه إن لم يكن كذلك ، كان طردا عن باب الله وإدبارا عنه ، وهو غير السلب عيادا بالله ، كيف والعبد لا صبر له عنه ولا براح له عن بابه . واعتبر بالذى كان يقول مدة مديدة لبيك وسعديك ، فيجاب بلا لبيك ولا سعديك ، ومع ذلك لم يقطعه ذلك عن الإقبال والتماذى عليه فى كل حال^(١) . ولكن الحق تعالى اختبره

(١) يقصد قصة أحد الصالحين كان قد خرج للحج ، وبينما هو يطوف والحجاج يرددون «ليك اللهم لبيك» سمع أصواتا ترد على الحجج أيضاً بالتلبية ، إلا شيخاً صالحاً كان بجواره ، كان كلما نادى «ليك اللهم لبيك» إذ به يسمع صوتا يرد عليه «الليبيك ولا سعديك» فقال له : ألا تسمع يا أخى هذا الصوت . فقال الشيخ باكياً : نعم والله إنى لأسمعه منذ أربعين عاما ، فما ثنائى هذا عن أن أناديه «ليك اللهم لبيك ..» وما ثنائى هذا عن أظل واقفا على بابه ، لاجئا إلى رحابه حتى يرد على وهل لى رب سواه؟ ، وفى اليوم التالى بينما كان الشيخ يطوف ويلبى ، إذ به يسمع صوتا يرد عليه «ليبيك وسعديك» فبكى الشيخ ثم أسلم روحه إلى بارئها .. وكان الرجل الصالح على مقربة منه يسمع ويرى .. وصلى عليه .

وجاء فى «روض الرياحين» أنه كان فى بنى إسرائيل رجل عابد فى كهف فى الجبل لا يراه أحد من الناس ولا يرى أحداً ، يصوم النهار ويقوم الليل ولا يفتر عن العبادة . فزاره موسى عليه السلام وسأله أن يرفق بنفسه فقال : أخاف أن أؤخذ على غفله فسأله موسى : هل من حاجة إلى مولاك؟ قال : نعم سله أن يعطينى رضاه ولا يشغلنى بسواه حتى يقضى نجبى . فلما صعد موسى عليه السلام إلى مناجاة ربه ، سأله ربه : ما قال لك العابد؟ اذهب إليه وقل له يتعبد ماشاء فى الليل والنهار ، فإنه من أهل النار لما سبق من الذنوب والأوزار . فاتاه موسى عليه السلام وأخبره بما قاله مولاه . فقال العابد : مرحبا بقضائه وحكمه وكل شىء بعين قدرته . ثم بكى وقال : يا موسى وعزته وجلاله ما برحت عن بابه ولو طردنى ، ولا رحلت عن جنبه ولو أحرقتنى ومزقتنى . فلما صعد موسى إلى ربه لمناجاته . قال له المولى سبحانه : يا موسى اذهب إليه وبشره أنه من أهل الجنة ، وقد أدركته الرحمة والمنة ، وقل له تلقيت قضائى بالصبر والرضا ، ورضيت منى بأصعب الحكم والقضا ، فلو ملأت ذنوبك السموات والأرض والفضاء وملأت جميع الأقطار لغفرتها لك . وأنا العزيز الغفار . فلما سمع العابد هذا من نبي الله ، خر ساجداً لله تعالى وحمد ربه فما زال فى سجوده حتى قضى نجبه .

وأظهر صدقه فى ذلك ظاهرا واجتذبه وأمهه بتأييده باطنا، فلم يكن طردا بل تخليصا وتخصيضا .

وقد قال سيدى على بن فارضى الله عنه فى جملة أبيات
 ونحن على العهد نرعى الذمام وعهد المحبين لا ينقضى
 صددت فكنت مليح الصدود وأعرضت أفديك من معرض
 وفى حالة السخط لا فى الرضا يبين المحب من المبغض

وقال غيره :

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وإن بات من ليلى على اليأس طاويا

وقال فى لطائف المنن: «لاتفقد الوقت بظهور الواردات، ولا بكثرة الطاعات ولكن انظر إلى ثقتك بالله، وإجلالك لأوامر الله، وترك الاختيار مع الله، فإن وجدت ذلك عندك - ولا يوجد واحد منها إلا وجد بقيتها - فاعلم أن لله بك عناية أبداها، وودائع أخفاها، فاشكره على ما أسدى، واحمده على ما أهدى» انتهى .

يعنى أن ذلك شواهد العبودية المطلوبة من العبد ظاهرا وباطنا، وذلك حق، والتطلع للوارد حظ العبد، وكونه بحظ ربه أولى وأسلم له من كونه بحظ نفسه، بل ربما كان ذلك ممكورا به ومقتطعا بسببه، اللهم سلم سلم ياسلام .

وقد قال عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (١) :

قال «على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس» (٢) .

(١) آل عمران : ٣١ .

(٢) رواه أبو الدرداء وأخرجه الترمذى .

قال في نواذر الأصول : « فالبر ما افترض الله على العبد، والتقوى هو مانهاه عنه، والتواضع أن يدع مشيئته لمشيئة الله عز وجل، وذلة النفس ترى المنى في عطاياه في الدرجات، وفي إقامة هذه الأربعة صفو العبودية، فهو عبد الله، ورسوله أرسله إلى الخلق على طريق العبودية لله، وذلك بالسلامة من الشعور بالنفس، فلا يتكلف من تلقاء نفسه شيئاً، ولا يريد لنفسه شيئاً، فهو لله وبالله» انتهى.

والسعيد حقًا من أغنيته عن السؤال منك
والشقي حقًا من حرمة مع كثرة السؤال لك
فأغننا بفضلك عن سؤالنا منك ولا تحرمنا من
رحمتك مع كثرة سؤالنا لك إنك على كل شيء
قدير .

ونسألك عز الدنيا والآخرة كما سألك نبيك
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عز الدنيا
بالإيمان والمعرفة وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة
إنك سميع قريب مجيب .

اللهم إنى أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة
وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض
وكل شيء هو فى علمك كائن أو قد كان أقدم
إليك بين يدي ذلك كله الله لا إله إلا هو الحى
القيوم .. الخ .

روضة الحزب

- الغنى عن السؤال من الله ... والسعادة الحقة
- متابع القرآن يجار من شقاء الدنيا والآخرة
- إحسان الظن بالله إذا تأخرت الإجابة
- عز الدنيا والآخرة
- روضة الحزب .. وآية الكرسي

(قوله) «والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك. والشقى حقا من حرمته مع كثرة السؤال لك»^(١) قال فى نواذر الأصول «الشقاوة فراق العبد من الله، والسعادة اندساسة إليه» اهـ .

وفى دعاء لواضع الحزب رضى الله عنه «أسألك بذاتك سعادة لا شقاء معها بمطالعة غيرك إنك على كل شىء قدير» وسيأتى له آخر الحزب «واقرب منى بقدرتك قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك، فلم يحتج لجبريل رسولك، ولا لسؤاله منك»^(٢).

وقال فى الحكم «وأغثنى بفضلك حتى أستغنى بك عن طلبى» ومدار السعادة على الجمع على الله، والغيبة عمن سواه، فيفنى العبد عن وجوده، ويبقى بربه، فيشغله استغراقه فى شهوده عن الشعور بغيره وينمحي منه أمل كل شىء يرجى، أو خوف كل شىء يتقى، فليس له عن سوى الحق اختيار، ولا مع غيره قرار، وعندما حل بهذه الحضرة وظفر بقرة عينه وحياة روحه وسر حياته لا يتصور منه سؤال ولا فوات مأمول «أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون، فإذا شهدته كانت الأكوان معك» .

«اشتاقت الجنة إلى على وعمار وسلمان وصهيب وبلال» كما فى الأثر^(٣). نعم إن رد إليه يتصور منه الدعاء على وجه العبودية، وأداء الأمر وإظهار الفاقة والعجز لا على وجه الاقتضاء والسببية، بل حكم الأزل أن

(١) يقول الصوفيون لله رجال إذا ارتفعت حواجبهم قضيت حوائجهم، أى قبل أن تنطلق ألسنتهم بالسؤال.

(٢) لما ألقى إبراهيم عليه السلام فى النار، جاءه جبريل فسأله «ألك حاجة؟» قال «أما إليك فلا، وأما إلى الله فعلمه بحالى يغنى عن سؤالى» فسماه الله فى كتابه الكريم «إبراهيم الذى وفى».

(٣) «إن الجنة تشتاقي إلى ثلاثة على وعمار وسلمان» رواه الترمذى عن أنس، ورواه الطبرانى ورجال الصحيح غير أبى ربيعة الأبادى وقد حسن الترمذى حديثه قاله الحافظ الهيثمى.

يضاف إلى الأسباب والعلل وعلى ماتقرر فى العادة. فالشقاوة احتجاب العبد بوجوده عن شهوده، فلا ينفك عن أمل، ولا عن خوف عطب، فيستحسنه الطبع للسؤال جلبا أو دفعا، وهو مع ذلك فى شقاء، سواء أعطى أو منع لفقده قرة عينه وراحة قلبه، لأسره فى طبعه، ومكابدة أمره وهلعه، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ (١) فليس ينهش من ذلك الطبع ومكابدته وعناه، غير أهل الصلاة الدائمة وهم أهل الوجهة لله الموجهين بعناية الله المحققين بذكر الله وقد ورد «هم القوم لايشقى جليسههم» (٢) فضلا عنهم.

وعلى الجملة فالمراد بالشقاوة والسعادة فى كلامه، الباطنة لا الظاهرة، والأمر القلبي لا القالبي، وإن كان قد يطلق فى ذلك أيضا «لكن لكل مقام مقال» وقد قال تعالى ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (٣).

(١) المعارج : ١٩ - ٢٣ .

(٢) من حديث متفق عليه «إن لله تعالى ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم ما يقول عبادى؟ قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، فيقول هل رأونى فيقولون لا والله ما رأوك فيقول كيف لو رأونى قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا. فيقول فماذا يسألون. قال يقولون يسألونك الجنة. قال يقولون وهل رأوها. قال يقولون لا والله يارب ما رأوها. قال يقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة. قال فمم يتعبدون. قال يتعبدون من النار. قال فيقول وهل رأوها قال يقولون لا والله ما رأوها. فيقول فكيف لو رأوها. قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة. قال فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم. قال يقول ملك من الملائكة. فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال هم الجلساء لايشقى بهم جليسههم». ولمسلم رواية أخرى وفى آخرها «وله غفرت هم القوم لايشقى بهم جليسههم».

(٣) طه : ١٢٣ .

وقال فى نواذر الأصول تابع القرآن قد أجير من شقاء العيش فى الدنيا لراحة قلبه من غموم الدنيا وظلماتها وسيره فى الأمور بقلبه فى راحة لأنه منشرح الصدر واسع البال، وبدنه فى راحة لأنه ميسر عليه أمور الدنيا تتهياً له فى يسر لضمان الله له، واكتنافه به، وكذلك يجار فى الآخرة من شقاء العيش فى سجون النيران أعاذنا الله منها.

وإذا أحطت علما بما ذكرنا، فلا التفات لمن تعقب على الإمام الشاذلى رضى الله عنه فى قوله «فالسعيد حقاً من أغنيته عن السؤال منك» فإن الدعاء عبادة لا يستغنى أحد عنها، ويكفى فى الرد عليه حالة الخليل عليه السلام، وتحقيق الأمر أنه إن غلبت عليه الحقيقة لا يتصور سؤال، وإن غلبت عليه الشريعة أورد إليها سؤال العبد على وجه إظهار العبودية فى الخضوع لا على وجه الاقتضاء.

قال فى نواذر الأصول. أهل اليقين قد يدعون ويلحون وهم فى ذلك ساكنون مطمئنون ينتظرون مشيئة الله، فإن أجاب قبلوا، وإن تأخر صبروا، وإن منع رضوا وأحسنوا الظن، كما قال أبو حبيب البدوى لسفيان «منع الله إياك عطاء منه لك، وذلك أنه لم يمنك من بخل ولا عدم، وإنما منعك نظراً واختباراً» انتهى.

وأما السؤال لا على وجه العبودية، فهو معلول عند العارفين الموحدين سواء كان متعلقاً بالحق أو بالخلق.

(قوله «كما سألك نبيك محمد ﷺ») (١) ورد فى غير ما حديث سؤال العز والتعود من الذل وورد طلب النصر كثيراً والثناء على الله بكونه «نصر عبده وأعز جنده» وقد قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ

(١) وفى بعض النسخ «كما سألك سيدنا محمد عبدك ونبيك».

وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ وَقَالَ ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾.

وقال فى نوادى الأصول : «على قدر تذلل العبد لله وترك مشيئته لمشيئة الله تعالى فى الأحوال كلها يستوفى الحظ من تلك العزة والقوة» انتهى .

وفى الحكم : «تحقق بوصفك بمدك بوصفه»، وذلك ثمرة الإيمان وطريق المعرفة التى هى جزئية من الهوى .

وقد قال الإمام الشاذلى رضى الله عنه «سألت أستاذى عن قوله عليه السلام (المؤمن لا يذل نفسه) فقال : لهواه، بل يذلها لمولاه». وإليه يرجع كلام صاحب الحكم والله أعلم .

* * *

(قوله اللهم إنى أقدم إليك.. الخ) قال فى نوادى الأصول : لقى جبريل موسى عليهما السلام فقال جبريل : «إن ربك يقول لك من قال دبر كل صلاة مكتوبة مرة : «اللهم إنى أقدم إليك بين يدى كل نفس ولمحة وطرفة .. إلى العلى العظيم»، فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا ويصعد إلىّ منه فيها سبعون ألف حسنة حتى ينفخ إسرافيل فى الصور وتشتغل الملائكة - قال أبو عبد الله الحكيم الترمذى جملنا حساب ليلة فبلغ ثمانمائة ألف ألف وأربعين ألف ألف وبالنهار مثله فذلك ألف ألف ألف وستمائة ألف ألف وثمانون ألف ألف . هذا ليوم وليلة فحقيق أن تشتغل الملائكة بذلك .

فأما معنى قوله «أقدم إليك بين يدى هذه الأشياء» أجمل ذكرها لعجزه عن إحصائها على الانفراد، فقال «أقدم إليك بين يدى هذه الأشياء أنه لا إله إلا هو» كأنه يؤدى معناه إلى أنه قديم لم يزل قد كان قبل هذه الأشياء التى أجمل ذكرها فقد كان يجمع هذه الصفات التى وصف بها نفسه فى هذه الآية . ا . هـ .

ومقتضاه أن آية الكرسي كانت لموسى عليه السلام وهو خلاف حديث
أبي أمامة عن علي عنه عليه السلام قال « أعطيت آية الكرسي من كنز تحت العرش
ولم يؤتها نبى قبلى » أخرجه أبو القاسم بن الطيلسانى فى مسلسلاته^(١) .

ونقل عن سيدى أبى عبد الله بن عياد وهو الحاج الصالح الواعظ أبو
إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الأرموى الرندى رحمه الله قال كنت
مسندا ظهري إلى مقام إبراهيم عليه السلام وذلك فى يوم الجمعة الحادى
والعشرين من ذى القعدة سنة ثمان وأربعين وستمائة وأنا أقرأ هذا الحزب ،
فأغفيت أى نمت ونعست ، فرأيت كأن نسختى التى حفظتها بين يدى ،
وإذا سطر مكتوب على هذا الفصل لم أعهدده فى نسختى فقرأته ولم يبق
فى خلدى منه يعنى بالى بعد اليقظة إلا هذا الفصل « روضة هذا الحزب »
ومابعده من كلام ذهب منى فى اليقظة ، فحدثت بذلك بعض إخواننا من
أهل الخير فأثبتوها فى نسخهم وأعجبوا بذلك وسر به شيخنا أبو الطيب
سرورا عظيما ومنتهاه عند قوله « فإنك بكل شىء عليم » .

* * *

(قوله وكل شىء هو فى علمك كائن) يقرأ بجر « كل » كما رأيت
مضبوطا بخط سيدى عبد النور عطفًا على ما قبله انخفوض بإضافة (يدى)
إليه .

(١) فى الخبر ومن قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة كان الذى يتولى قبض روحه ذو الجلال
والإكرام ، وكان كمن قاتل مع أنبياء الله حتى يستشهد .

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له عن
آية الكرسي « فإنك لا تقرأها فى بيت إلا خرج منه الشيطان له خبيج كخبيج الحمار
لا يدخله حتى يصبح » .

وسأل أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما « أى آى مما أنزل الله عز وجل عليك
أعظم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : آية الكرسي يا أبا ذر ما السموات السبع مع
الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة » .

وقال أبو عبد الله هذه آية أنزلها الله جل ذكره وجعل ثوابها لقارئها عاجلا وآجلا . فاما
فى العاجل فهى حارسة لمن قرأها من الآفات .

أقسمت عليك ببسط يديك وكرم وجهك ونور
عينيك وكمال أعينك أن تعطينا خير ما نفذت به
مشيئتك وتعلقت به قدرتك وأحاط به علمك واكفنا
شر ما هو ضد لذلك واكمل ديننا وأتمم علينا نعمتك
وهب لنا حكمة الحكمة البالغة مع الحياة الطيبة والموتة
الحسنة وتول قبض أرواحنا بيدك وحل بيننا وبين غيرك
فى البرزخ وماقبله ومابعده بنور ذاتك وعظيم قدرتك
وجميل فضلك إنك على كل شىء قدير .

أقسمت عليك ..

- التوسل برسول الله
- صلاة الحاجة
- مالك بن دينار . . وتوسل العبد بحب الله له
- التوسل بالأولياء
- التوسل بصفات الله
- خطبة على كرم الله وجهه لبنت أبى جهل
- مقام الخلة والدلال
- حجاب الله عز وجل
- النبي وجبريل ليلة المعراج
- السيد البدوى ولثامه
- ماهى الحياة الطيبة
- الله يقبض أرواحنا بيده
- آية الكرسي دبر الصلوات
- طلب الاستغراق والشهود

(قوله أقسمت عليك) جاء في بعض الأحاديث أنه عليه السلام علم الناس الدعاء فقال «اللهم إني أقسم عليك بنبيك محمد نبي الرحمة»^(١).

قال عز الدين : فإن صح فينبغي أن يكون مقصورا عليه لأنه سيد ولد آدم ولا يقسم على الله بغيره .

قال البرزلي «وكان شيخنا الفقيه - يعني ابن عرفة قدس الله روحه - يختار الجواز، ويحتج بسؤال عمر رضى الله عنه بالعباس في قصة الاستسقاء^(٢) ويقول العبد الذى استسقى بالبصرة بحبك لى إلا ما سقيتنا الساعة^(٣)» وقال الخطاب «إنما هذا توسل وهو عين القسم» انتهى .

(١) يقصد الدعاء الذى ورد فى ختام «صلاة الحاجة» فقد روى الترمذى بسنده عن عثمان ابن حنيف أن رجلاً أعمى أتى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال إني أصبت فى بصرى فادع الله لى، قال . اذهب فتوضأ وصل ركعتين . ثم قل . اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد، نبي الرحمة، يا محمد . إني أستشفع بك على ربي فى رد بصرى (ثم قال صلى الله عليه وسلم) وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك . . قال . فما لبث الرجل أن رجع كأن لم يكن به ضرر قط .

(٢) كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستسقى بالعباس بن عبد المطلب عم نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فنسقيناه، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقناه فيسقون .

(٣) حكى عن مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه أنه قال أمسك الفيث عنهم فى البصرة سنة من السنين، فخرجوا إلى الصحراء يسألون الله تعالى أن يسقيهم الفيث، حتى خرج معهم أكابرههم وأصاغرهم وأولادهم، فما زالوا يدعون ويتضرعون إلى الله تعالى والكل ينون على دعائهم، ولم يزد النهار إلا صحوا ولا الشمس إلا حرأ، فمل الناس وضوا إلى حوائجهم، فمضى مالك بن دينار إلى مسجد خرب فى الصحراء فجلس هناك، وبينما هو جالس، إذ دخل المسجد غلام أسود عليه خرقتان قديمتان تساوى قيمتهما درهماين، فدخل المسجد وصلى ركعتين فلما سلم قال : إلهى وسيدى ومولاي لم رددت عبادك وفقراءك وعيالك؟ أفرغ ما عندك أم نفذت خزائنك؟ أقسمت عليك بحبك لى إلا سقيتنا الساعة!! فما أتم كلامه حتى أمطرت كأفواه القرب بقول مالك «فتعرضت له فقلت : أما تستحي تقول بحبك لى؟ وما يدريك أنه يحبك؟ فقال لى : يا من اشتغل عنه بنفسه!! أين كنت أنا حين خصنى بتوحيده؟ أتراه بدأنى بذلك

ولعل موضوع الخلاف بينهما بعد اتفاقهما فى حمل القسم فى الحديث على التوسل ، كما ورد فى طريق آخر « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة ... » أنه هل يجوز التوسل بغير النبي عليه السلام ؟ فأجازه الإمام ابن عرفة محتجا بقصة الاستسقاء وغيره ، ومنعه ابن عبد السلام .

وأما القسم فلا يجوز بحال بغير الله خلافا للإمام ابن حنبل ومن تبعه . وأما كلام الخطاب ففيه نظر من حيث جعل القسم على حقيقته وفهم أن الخلاف فى ذلك ، ولذلك رد استدلال ابن عرفة ويشهد لما ذكرناه من أن الخلاف إنما هو فى التوسل بغير النبي ما وقع فى المعيار فى جواب لأبى القاسم العبدوسى بعد ذكره أن الحى ينتفع بالميت فى الزيارة قال « لكن هل يتوسل به إلى الله فيقول بحق هذا الصالح افعل بى كذا؟ هكذا نص معروف الكرخى رضى الله عنه فى الحلية وإنما يعتقد أن البقعة بقعة مباركة يدعو الله فيها من غير توسل ، هذا هو الذى عمل عليه الشيوخ - انتهى .

وعلى التوسل يحتمل ما فى رسالة القشيري رضى الله عنه عن معروف الكرخى رضى الله عنه قال « من كانت له إلى الله تعالى حاجة فليقسم عليه به » .

وكذلك وجد بخط الإمام أبى العباس المرسى قدس الله سره عن شيخه الإمام الشاذلى أنه كان يقول له « إذا عرضت لك إلى الله حاجة فاقسم عليه بى » .

إلا نجته لى ؟ ألا تعلم أن الله واسع المغفرة عظيم المحبة لعباده ؟ .
ألم تسمع قوله تعالى « هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما ، تدبر أيها الإنسان إن الله وملائكته يصلون علينا لنعلم أى حب عند الله لنا ؟ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب العابدين ويحب أن نعرف أنه يحبنا) .

كل ذلك بمعنى التوسل ... وأما ما وقع في توسل الحزب من قوله (أقسمت عليك ببسط يديك وكرم وجهك.. الخ) فهو قسم بصفات الله تعالى، فهو على حقيقته، ولكنه خاص بالخبوين المدللين على الله عز وجل كما يشير إليه حديث «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»^(١).

ويحتمله حديث «والله لا يجتمع بنت عدو الله مع بنت حبيب الله أبدا» في قصة خطبة على كرم الله وجهه بنت أبي جهل على فاطمة البتول رضى الله عنها^(٢).

وقد قال الحاتمي رضى الله عنه «إن لله عبادا يتحكمون عليه فيما يخطر لهم فيجيبهم إلى ذلك، وذلك لمعرفة بهم به حيث أحضر لهم ذلك، فهو المتحكم غيبا وهم المتحكمون عينا» انتهى.

وقد نقل في القوت في آخر كتاب المحبة حيث تكلم عن الخلة عن الجنيد أن العبد في هذا المقام يعلم أن الله يحبه، ويقول العبد بحقى عليك وبجاهى عندك ويقول بحبك لى - قال وهؤلاء مدللون على الله

(١) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) رواه مسلم.

(٢) خطب على كرم الله وجهه جميلة بنت أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام أو خطبت هى إليه، وتوجه بنو هاشم، كما توجه على أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعرض أمر هذه الخطبة عليه وأخذ رأيها فيها، وكان على زوجها للسيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها.. ورفض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخطب من فوق منبره الشريف موضحاً سبب هذا الرفض، فقال بعد التشهد:

(أما بعد فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني. وإن فاطمة بضعة مني، وإنى أكره أن يسوءها. والله لا يجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد. وإنى لست أحرم حلالا ولا أحل حراما، ولكن والله لا يجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله) تراجع القصة في البخارى فى كتاب الخمس فى باب ما ذكر من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم، وفى كتاب المناقب فى باب ذكر أصهار النبى وفى كتاب النكاح - ويراجع كتابنا (فاطمة الزهراء).

عز وجل، ومستأنسون به، وهم جلساء الله وقد رفع الحشمة بينه وبينهم، وزالت الرحشة بينه وبينهم، علموا أن الله يحبهم وأن لهم عنده جاهها ومنزلة، فضلا منه تعالى وفرط كرم أو كما قال وهذا خارج عن الفتوى ولا يعرفه غير أهله، وبالجملة فلا يكون الإدلال والقسم إلا عن استغراق واستهلاك في الحقيقة بحيث يكون صاحب تلك الحالة مترجما عن ربه بربه، وليس لغيره ذلك إلا على سبيل التلاوة لأذكاره، والحكاية عنه - والله أعلم.

(قوله ببسط يديك) هذا الإطلاق معلوم من الشرع من قوله تعالى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(١)، ومن الحديث من قوله «يا باسط اليدين بالرحمة» وغير ذلك. والتنزيه ونفى التشبيه معلوم، وقد قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٣). ثم يبقى بعد ذلك، إما التفويض إن بقى بعد التنزيه وصف المعنى المستحيل في حقه تعالى أكثر من محمل واحد وهو المختار ومذهب السلف الصوفية، وإما التأويل وهو مذهب إمام الحرمين والخلف.

وعليه فإطلاق بسط اليدين تصوير لغاية الكرم ومبالغة في الوصف بالجوهر وتثنية اليد لإفادة الكثرة، إذ غاية البذل في السخى أن يعطى بيديه جميعا.

(وأما قوله وكرم وجهك) فينبغي به جماله وكماله. ووجهه ما يعرف به من تجليات الذات لخصوص عباده :

(١) المائدة : ٦٤ .

(٢) الشورى : ١١ .

(٣) الإخلاص : ٤ .

هذا وقد قال تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (١) ﴿وَيَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢).

وفي الحديث الصحيح «حجابه النور - وفي رواية النار - ولو كشف عنها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره من خلقه» أي لأحرقت سيطرة أشعة هذا النور الوجهي وقوة غلبة ثناه لسلطنة وحدتها وجلالها وغلبة إطلاق جمالها نسبة وإضافة وكثرة منسوبة إليها، يدرکها نور بصره الإلهي، إما إلى عدم محض من حيث الوجود ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ (٣) ولولا أن ربط الله على قلبه لزهقت روحه وتلاشى فؤاده، وانمحي حسبه ووجوده، لكنه تعالى برحمته، وإنما وجه قلبه باليسير من نور أحديته إبقاء عليه (٤).

(١) القصص : ٨٨ . (٢) الرحمن : ٢٧ . (٣) الأعراف : ١٤٣ .

(٤) النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل ليلة المعراج :

انظر في قصة المعراج كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل من حضرة إلى حضرة ومن رؤية إلى رؤية إلى مافوق سبع سموات، ويقف جبريل، ويتقدم الرسول صلى الله عليه وسلم يخترق حجب الأنوار حتى غشى نور العرش بصره فكان يرى بقلبه ولا يرى بصره. فلماذا لم يتقدم جبريل معه؟ لقد قال جبريل عليه السلام: لو تقدمت أنت لاحتترقت، ولو تقدمت أنا لاحتترقت من نور الله. وقد كان صلى الله عليه وسلم متمكنا، ولذا لم يؤثر فيه حاله ولا تغير عليه.

وكان سيدنا موسى عليه السلام متلونا إذا رجع من حضرة المناجاة والمكاملة، وقد أثر حاله على وجهه فلا ينظر إليه أحد إلا عمى لتمكن حاله فيه من كثرة المشاهدة حتى أذنه الله أن يتبرقع.

السيد البدوي ولثامه :

وفي تاريخ السيد البدوي رضى الله عنه، أنه كان يسمى المثلث، لأنه كان يتلثم بثلاثين، حتى إن الشيخ عبد المجيد قال له أريد أن أرى وجهك أعرفه، فقال له : يا عبد المجيد كل نظرة برجل، فقال له عبد المجيد . ياسيدى أرني وجهك ولو مت . فكشف السيد البدوي اللثام الفوقاني، فصعق عبد المجيد ومات في الحال .

فكثرة العبادة لسيدى أحمد البدوي وحبه لله ووجهه لرسول الله وزهده في الدنيا، كل هذه العادات المخلصة جعلته قريبا من الله، ففاض عليه النور الإلهي، وذلك من كثرة المشاهدة، فصار وجهه نوراً وثيابه نوراً.

ثم المتجه في رواية النار أنها نار الشهوة والطبع المبعد للعبد من ربه، وأما رواية النور فقليل نور الجلال المانع من الابتذال.

والحاصل أن الحجاب، إما للنقص البشرى المشار إليه بالنار، وإما الكبرياء والجلال بعد الخروج من ذلك «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه» فلو كشف ذلك كشفا تاما لتدكدكت الموجودات بأسرها، وإنما يكشف من ذلك لمن يشاء بعد تقويته، وإمداده بنوره على حسبه وقدره والله أعلم.

قال الحاتمي: «اعلم أن لله سبعين حجابا من نور وظلمة، ولو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه. فلهذا نرى الحق من غير الوجه الذى يرانا، وإنما يقع الاحتراق والأثر إذا وقعت الرؤية من وجه واحد، وهو وقوع البصر منك على المبصر^(١). وقد أوجد الله تعالى في هذه الدار مثلا لهذا المقام على عزته وعلوه، فخلق دابة تسمى (الصل) بكسر الصاد وهى حية إذا وقع بصر الإنسان عليها، ووقع بصرها عليه على خط واحد، فاجتمعت النظرتان، مات الإنسان من ساعته» انتهى^(٢).

لكن قال الإمام الأبي في شرح مسلم «ما يشار إليه من الحجب بالظلمة وتكثير الحجب لم يرو من طريق صحيح».

(١) ولهذا جاء في الحديث الشريف «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» - ولذا فإن العبد بإقباله على ربه، واقترابه منه، إنما يقبل على نور الله، فيفيض عليه سبحانه من نوره، فيصبح العبد بهذا ربانيا. سئل الحسن البصرى رضى الله عنه (ما بال المهجدين من أحسن الناس وجوها؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فلبسهم نورا من نوره).

(٢) الصلال هى حيات الكوبرا، وهى الحيات التى لاتنفع فيها رقية، وهى أنواع الصل المتنع الأسود (الكالا) فى الهند، والكوبرا العملاقة فى الهند، والصل المصرى (الكوبرا المصرية) - وقد جاء فى دائرة معارف الشعب ج ٤، ص ٥٤٧: «وهذه الصلال مخيفة ومرعبة قتالة أينما وجدت. ولكن من رحمة القدر أنها لاتبادى بالهجوم إلا إذا أثيرت وحينئذ تبعث الرعب فى النفوس بمنظرها الخيف» هذا ما عثرنا عليه بالنسبة لما كتب عن الصلال.

ثم قال ابن العربي رضى الله عنه ولم يصح فى الباب غير ما فى مسلم من كونه حجابہ النور .

وفى رواية النار كما تقدم ، قال الحسن لا يدرك غيره لعدم صحته ، وإنما تكلم العلماء عليها خوف اعتقاد ما لا يليق (انتهى) .

ثم اتفق أهل العلم والمعرفة أن الحجاب على الخلق معنوى عقلى لا حسى ، كما اتفقوا أنه لا يعرف بالكنه وإنما يعرف بوجه من التعريف لا بكيف ، والله أعلم .

ثم إطلاق الوجه وارد كتابا وسنة كما تقدم ، وجاء فى التعمود فى السنة «أعوذ بوجه الله الكريم» وإنما اختلف المتكلمون فى إطلاق ماورد فى القرآن من المشكل فى غيره ، وقد أجازہ القلانسى وجماعة من المحدثين والفقهاء . فمن هنا جاز ذلك والله أعلم .

(قوله ونور عينك)^(١) هو على التأويل أيضاً ، إما عبارة عن إدراك البصر وكشفه ، وإما عبارة عن الكلاءة والحفظ كما قال تعالى ﴿ وَتُصَنِّعَ عَلَيَّ عَيْنِي ﴾^(٢) أى على رعايتى وحفظى .

وفى الحديث «اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام»^(٣)

(١) فى بعض الروايات (ونور عينك) بالثنوية ، وأشار إليها الزبيدى فى شرحه (تنبيه العارف البصير) .

(٢) طه : ٣٩ .

(٣) فى الحديث عن جعفر بن محمد قال حدثنى أبى عن أبىه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أحزنه أمر دعا بهذا الدعاء (اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام ، واكنفى بركنك الذى لا يرام واحفظنى بعزك الذى لا يضام ، واكلىنى فى الليل وفى النهار ، وارحمنى بقدرتك على ، أنت ثقى ورجائى ..) إلى آخر الحديث .

وفى حزب البحر «وعين الله ناظرة إلينا»
والرواية هنا بإفراد «عين» لابتثيتها.

وقد قال ابن عطية «وقفت الشريعة على عين^(١) وعين ولايجوز أن
يقال عينان من حيث لم توقف الشريعة على الثنية» انتهى .

(وكمال أعينك) جاء فى تفسير قوله (تجرى بأعيننا)^(٢) أى بأمرنا،
وقيل بأوليائنا، والمقسم على الأول على حقيقته، وأما على الثانى فإما أن
يحمل على التوسل كما تقدم، أو يقال إنما وقع القسم هنا بكمالهم، وهو
ما انكشف لبصائرهم من جمال الحق وقدس كماله ووصفهم البشرى،
وهو مغمور ومغطفى بذلك، وإلى ذلك يشير ماورد من قولهم «الشأن أن
تكون عين الاسم»، و «أصابتك عين من عيون الله»، والخطاب من عمر
فى حق على رضى الله عنهما حيث أتاه رجل والدم يسيل من شجته، فقال
«ويحك من فعل بك؟» فقال «على» قال على «رأيتَه مفاوضا امرأة
فأصغيت إليهما فسأنى ما سمعته فشججته» فقال عمر للرجل «أصابتك
عين من عيون الله، وإن لله فى الأرض عيوناً» - وفى رواية «فلم أملك حتى
ضربته، فقال عمر: أيها الرجل... الخ».

وورد عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى قصة أخرى «لا أقيه من
وزغة الله».

وذلك إشارة منهم لرجال القبضة المتصرفين بالله، وأهل البصائر
الأمناء على أسرار الله فى خلقه ومملكته.

(١) قال تعالى (واضع الفلك بأعيننا) . وقال سبحانه (واصبر لحكم ربك فإنك
بأعيننا) .

(٢) الآية (تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر) : القمر : ١٤ .

وقد أورد ذلك صاحب نوادر الأصول في حديث التقرب، وأنه يشير لقبضته تعالى، فيستعمل أهله بالرحمة تارة وبالعدل والحق تارة أخرى. وكان أبو بكر رضى الله عنه من أهل الرحمة، ولذلك ورد أنه يقف عند باب الجنة يدخل الناس، وكان عمر رضى الله عنه من أهل العدل والحق، ولذلك ورد أنه يقف عند الميزان ثم قال: ومن معنى الحديث قول عمر رضى الله عنه، ثم ذكر عنه ماتقدم في حق على كرم الله وجهه.

(قوله حكمة الحكمة البالغة) هي العلم النافع المؤدى إلى العمل والإصابة في الأمور.

(قوله مع الحياة الطيبة) قيل القناعة والرزق الطيب الحلال والصواب كونها أعم حتى تصدق بسقوط الخوف بالنظر إلى الحق دون ما سواه والرضا به وعنه، ووجود الكفاية وتحقق الخلافة بإعطاء الكرامة والتمكين فى الأرض على حسب المراتب والله أعلم.

(قوله .. وتول قبض أرواحنا بيدك) هذا كما قيل فى الأخفياء من الأولياء الذين يختص الله تعالى بعلمه أن يتولى قبض أرواحهم بيده فتطيب أجسادهم به فلا يعدى عليها حتى يبعثوا بها مشرقة بنور البقاء المحبول فيهم ببقاء الأبد مع الباقي الأحد عز وجل.

وقد ورد فى الخبر «من واظب على قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة (وسقط لفظ مكتوبة فى نوادر الأصول) كان الذى يتولى قبض روحه ذو الجلال والإكرام سبحانه» والمراد بذلك صفاؤها بالتجلي

واستغراقها فى الشهود واستهلاكها فى الحب واستئصالها بالغيبة وسلب
الشعور بالغير ، وفى ذلك غاية منتهى أمنيته كما أشار بذلك العارف
ابن وفا رضى الله عنه بقوله :

من مات قيل الهنأ وله الحياة بلا عنا

إن المنية فى الهوى عند المحب هى المنى

وله أيضاً رضى الله عنه :

إن الذين أحبهم أهل الوفا من مات فيهم عاش عيش وفاء

تلقى بهم سبب الحياة بروحهم يا حبيذاك منيتى بمناء

وله أيضاً رضى الله عنه :

يا فتانى وسلوى جملة لكما ما دون حبى فخذنا

ليس لى فى غير حبى حاجة أيها الغير تنحى هكنا

أنا وصلى بحبيبى راحتى فالذى يشغلنى عنه أذا

فإذا غبت عن الغير بمن هو محبوبى تحققت إذا

ثم يكنى فى الحى حى بعد من روحه تنشق من حبى شذا

كل شىء دون حبى هالك فحياة الكل حبى حبنا

يا حبيبى ووجودى والذى بوفاه لفسؤادى آخذنا

أنت لى روح وحب وهوى وحياة وشراب وخذنا

(قوله وحل بيننا وبين غيرك.. الخ) (١) هو كقول شيخه وأستاذه عبد السلام رضى الله عنهما فى صلته المشهورة « واجمع بينى وبينك وحل بينى وبين غيرك » وذلك يكون بغيبة العبد عن وجوده واستغراقه فى نور شهوده كما أشار إلى ذلك الإمام الجنيد رضى الله عنه بقوله :

وجودى أن أغيب عن الوجود لما يبدو على من الشهود
وللأستاذ رضى الله عنه فى مقطعاته وأزجاله :

أنا حين أخلو بمحبوبى أغيب عن الوجود
وأقرأ سر مكتوبى فى سورة العنود

يعنى قوله تعالى ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (٢) لأن جميع ما يشيرون إليه ويفتبطون به إنما هى أسرار المحبة الحقيقية وفيها ما يدق ويضيق عنه نطاق البيان وإنما هى رموز وإشارات يعرفها أهلها ذوقاً ووجداناً إلا أنها توجد فتعلم، ولا تعلم فتوجد وإنما سبيل غيرهم أن يسلم لهم، ويؤمن بمواهب مولاهم لهم، وتخصيصهم بما به تولاهم، رزقنا الله حبهم، ومن علينا بالانتظام فى سلوكهم والسكون معهم .

* * *

(١) قال الزبيدى : (وحل بيننا وبين غيرك) بالغيبة عن الوجود، والاستغراق فى نور الشهود (فى البرزخ) وهو العالم المشهود بين عالمى المعانى المجردة والأجسام المادية (وما قبله وما بعده) من العالمين المذكورين. ومن حيل بينه وبين الغير فى تلك العوالم الثلاث، فقد فاز، فكانه طلب الفوز والسعادة الكبرى فى الحيلولة بينه وبين الأغيار فى مبدئه وأوسطه ومنتهاه .

(٢) المائدة : ٥٤ .

(قوله بنور ذاتك) يعنى بظهورها للبصائر وتمكن سرها من الذوات
الكوامل وذلك بنفى الشعور بالاثينية كما أشار إلى ذلك ابن وفا رضى
الله عنه بقوله :

إن تلاشى الحجاب عن عين كشفى شهد السرغيبه فى بيانى
فاطرح الكون عن عيانك وامح نقطة الغين إن أردت تدانى

فقد لوح إلى سر العيان ، وهو ما يخرس عنه اللسان ، وهذه الأسرار
بذل الأرواح فيها أقل مهرها^(١).

(١) جاء فى كتاب «قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الأفاق» لجمال الدين
محمد أبى المواهب الشاذلى (ص ٣٠) طبعة المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة .
حقيقة المحبة كتمان سر الخيوب ، فيما تجلى على المحب من مشاهدة الغيوب .
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تباح
وجاء فى «اللمع» لأبى نصر السراج الطوسى : «السر ما غيبه الحق ، وأشرف عليه به»
وحكى عن الحسين بن منصور الخلاج رحمه الله تعالى أنه قال : «أسرارنا بكر
لا يفتضحها وهم وأهم»
وقال يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى : «قلوب الرجال قبور الأسرار» وفى رواية
«صدور الأحرار قبور الأسرار»
وعنه أيضاً أنه قال : لو اطلع زرى على سرى قلعته .

هب لنا مشاهدة تصحبها مكاملة، وافتح
أسماعنا وأبصارنا، واذكرنا إذا غفلنا عنك
بأحسن مما تذكرنا به إذا ذكرناك وارحمنا إذا
عصيناك بآتم مما ترحمنا به إذا أطعناك . واغفر لنا
ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر والطف بنا لطفاً
يحببنا عن غيرك ولا يحجبنا عنك .

اللهم إنا نسألك لساناً رطباً بذكرك وقلباً
منعماً بشكرك وبدناً هيناً لينا بطاعتك .

وأغننا بلا سبب واجعلنا سبب الغنى
لأوليائك، وبرزخا بينهم وبين أعدائك .

المشاهدة والملازمة .. والكرامات الثلاث

- مقام المشاهدة والمكاملة .
- أبو يزيد يفتش عن أبي يزيد .
- كيف يُسمع الله كلامه لأنبيائه وأوليائه
- الولي يأخذ بواسطة روحانية النبي ﷺ
- سؤال الفضل بلا علة
- الكرامات الثلاث
- غنى بلا سبب وبرزخ بين الألياء والأعداء
- ذو القرنين وأهل التمكين أو التصريف
- درجة الاتحاد والإنصاف .. ودرجة الكمالات والكرامات

(قوله وهب لنا مشاهدة تصحبها مكاملة) قال الإمام القشيري في تفسيره «اعلم أن علم العبد بنفسه ضرورى وعليه يبنى كل علم استدلالى، فإذا غلب ذكر الله عليه تناقض علمه بنفسه وصار علمه بالله تعالى ضروريا لانتهائه لحالة المشاهدة، واستيلاء سلطان الحقيقة عليه، ويقل عند ذلك إحساسه بنفسه حتى يصير علمه بنفسه، كاستدلال لما صحبه من الغفلة عن نفسه والنسيان لها، كالغريق فى الشىء لا إحساس له بشىء سوى ماهو مستغرق فيه ومستهلك لديه» انتهى.

وإلى هذا المعنى تشير حكاية أبى يزيد^(١) المشهورة حيث سئل عن نفسه فقال (أنا أفتش عن أبى يزيد) فبلغ ذلك بعضهم فقال «ذهب أبو يزيد فى الذاهبين إلى الله تعالى» يعنى كما قال الخليل عليه السلام ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ﴾^(٢) فأخبر بأن الهدى بعد ذلك. وإنما الهدى هدى الله، فيكون فى أول الأمر ذاهبا إلى الله عز وجل عن عوامل البشرية والشعور بالغير كسير البرد على السحاب، ثم بعده الذهاب فى الله وهو الاستغراق فيه، ولكنه يكون أولا كالبرق الخاطف لا يدوم، فإن دام طولع بالوجود الحقيقى وكوفح بشهود الحق على الإطلاق.

* * *

هذا وقد قال الورتجيني فى تفسيره «إذا أراد الله عز وجل أن يسمع كلامه أحداً من أنبيائه وأوليائه أعطاه سمعا من أسماعه، فيسمع كلامه، كما حكى عليه الصلاة والسلام عن ربه عز وجل أنه قال «فإذا أحسبته كنت سمعه الذى يسمع به»^(٣) وليس هناك الحروف والأصوات بل

(١) يقصد أبى اليزيد البسطامى رضى الله عنه.

(٢) الصافات : ٩٩ .

(٣) تقدمت الإشارة إلى هذا الحديث .

يسمعه بحروف القدرة وصوت الأزلية الذى هو منزه عن همهمة الأنفاس وخطرات الـروسواس، وليس فى ولاية الأزل من رسوم أهل الإجلال شىء حتى أن هناك السامع والمسمع واحد من حيث المحبة لا من حيث الجمع والتفرق» انتهى: يعنى أن مدد الحب يسلب غلبة حكم الامتياز والغيرية.

وبالجملـة فإمدادات الغيب الجارية فى العبد وعليه، منها الخطاب وبها الجواب، كان المكلم والكليم واحداً، ولاشعور للعبد بذلك ولانسبة له فيما هنالك إلا كالمرآة المعلقة إن فرضت لها شعوراً بما يظهر فيها مثلاً، فإنها آلة لاغير ومظهر لما يلوح فيها.

وقد نبه الحاتمي رضى الله عنه على نكتة ينبغى الاحتفاظ عليها حيث قال:

«اعلم أن كل ولى لله تعالى فإنه إنما يأخذ ما يأخذ بواسطة روحانية النبى ﷺ، فمنهم من يعرف ذلك، ومنهم من لايعرفه ويقول قال لى الله وليس غير تلك الروحانية» انتهى.

وهو موافق لما أشار إليه سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه حيث قال «ان الولى إنما يكاشف بالمشال، يعنى كما يرى مثال البدر فى الماء بواسطة، وكذلك الحقائق الغيبية والأمر الإشهادية مجلوة وظاهرة فى بصيرة النبى ﷺ وله عيانا لا مثالا، والولى لقربه منه ومناسبته له ولهديه بهديه، ومتابعته له يكاشف بمثال ذلك فيه، فظهر الفرق وثبتت مزية النبى عليه السلام وانتفى اللبس بين النبوة والولاية، وصح ما أطلق عليه الأولياء من المحادثة والمكاملة، وقولهم: «قيل لى ونوديت فى سرى» وقد أشرنا إلى هذا المعنى فى الكلام على الإذن ووعدنا باستيفائه، وإذا أحطت بهذا كله علما، تحققت واسطة النبى ﷺ وبرزخيته على الإطلاق فى الغيب والشهادة، وذلك معلوم لأهل الله ذوقا، ومتحقق عندهم كشفاً، والله أعلم.

(هذا) وإنما طلب واضع الحزب رضى الله عنه مصاحبة المكاملة للمشاهدة لعزازه ذلك واختصاصه بأهل الكمال من الأولياء، والغالب من أحوال الأولياء انفراد أحدهما عن الآخر أو تعاقبهما كما هو مشاهد من أحوال الفقراء بالاستقراء هذا وقد قال تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾^(١) قال بعض العارفين من المفسرين جنة المشاهدة وجنة المكاملة فى الدنيا، ومرجع ذلك لفتح الشريعة والحقيقة والله أعلم.

* * *

(قوله واذكرنا إذا غفلنا عنك بأحسن مما تذكرنا به إذا ذكرناك وارحمنا إذا عصيناك.. الخ) يعنى لنشهد بذلك وصف الفضل منك بلا علة ومن غير استحقاق فتفتننا بك لا بالأغيار ونزداد محبة فيك وغبطة بك واعتمادا عليك، ونبرأ من الاعتداد بالأحوال والاعتماد على الأعمال وسائر الأسباب.

وقد قال واضع الحزب رضى الله عنه «ما سألت الله شيئاً إلا قدمت إساءتى بين يديه» يعنى ليكون طالباً لفضله تعالى بفضله لا بالاستحقاق، وذلك من التحقق بالفناء به تعالى وقطع الإيأس من غيره الذى مرجع الاضطرار إليه، وهو كفيل بالإجابة، والله أعلم.

* * *

(قوله والطف بنا لطفاً يحجبنا عن غيرك ولا يحجبنا عنك) يعنى لأن السكون إلى اللطف حجاب عن اللطيف، وليس الشأن الغيبة عن اللطف فى اللطف. شهود اللطف إذ الشأن فى النعمة أن يكون غنيا فيها بشهود المنعم^(٢).

(١) الرحمن : ٤٦ .

(٢) قال الزبيدى فى شرح هذه الفقرة «أى ارفق بنا رفقاً وبراً يسترليان على القلب بالمجاهبة إليك بحيث يحجبنا عن غيرك أى يسترنا، فلا يخضر أصلاً (هذا الغير)، بل يرينا (أى اللطف) كمال تجليك من غير حائل. ولما كان من جملة معانى اللطف العلم بدقائق المصالح وغوامضها ومادق منها أعقبها بقوله «فإنك بكل شىء عليم، لسريان صفة العلم فى صفة اللطف».

(قوله اللهم إنا نسألك لسانا رطبا بذكرك وقلبا منعما بشكرك وبدنا هينا لينا بطاعتك) قال الشيخ الكبير العمدة سيدى أحمد زروق رحمه الله :

هذه الثلاثة الأمور هي الكرامات :

فيشمر ذكره ثلاثا : تنوير القلب ، وتحقيق المعرفة ، واتساع الحال .

ويشمر الشكر ثلاثا : طيب الحياة بالرضا ، ومزيد النعمة ودوام العوافي .

ويشمر لزوم الطاعة ثلاثا : حلوة المناجاة ، ودوام العز بالله فى جميع الحالات ، والنجاة من العلل والآفات « انتهى .

(قوله واغننا بلا سبب واجعلنا سبب الغنى لأوليائك) قد تقدم «والغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك» وما هنا أخص لأنه طلب التلقى من حضرة الحق بلا واسطة ، وكونه واسطة وسببا فى الإمداد ، فى ذلك لسائر الأولياء ، على ما هو شأن القطب من كونه مظهر الحق من خلقه ومرآة تجليه ، فهو فى ذلك الكون بمنزلة إنسان العين من العين عليه المدار ومن فيض نوره تستمد جميع الأنوار وقد كان رضى الله عنه شهيرا بذلك بين الأولياء .

(قوله وبرزخا بينهم وبين أعدائك)

يعنى حاجزا لهم ومانعا من تسلط أنفسهم وأهوائهم وشياطينهم وسائر قواطعهم عن كمالهم واتصالهم بربهم ، وذلك بقوة ربانية وبصيرة نورانية كما هو شأن أهل التمكين والرسوخ فى الولاية ومرتبة أهل الإمامة ومقام أهل الإرشاد والهداية ومحل الحفظ والرعاية إما للكفاية وهى رتبة القطب أو للبعض وهى رتبة من دونه من الخلفاء والأمناء أهل الغنى بالله

رضى الله عنهم وقد قالوا «ليس الرجل من كمل فى نفسه بل من كمل به غيره ولا من زال الخوف عنه فى نفسه ولكن من زال به الخوف عن غيره» .

وقال السيد عبد القادر الجيلانى :

أنا من رجال لا يخاف جليسه
ريب الزمان ولا يرى ما يرهب

وقد ورد «هم القوم لا يشقى جليسه» وقيل «إن لله رجالا إذا نظروا للمرء أكسبوه سعادة» .

وقد أشار سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه لنفسه بذلك وشهد له شيخه بذلك كما يوقف عليه فى لطائف المنن وذلك مستمر فى مشايخ كل زمان وكما هو مشاهد .

قال القشيرى رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى فى شأن ذى القرنين

رضى الله عنه ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَكْنَ ﴾ (١) «إن ذا القرنين مكن فى الأرض جهرا فكانت تطوى له إذا قطع أجوازها ويسهل عليه إدراج مشارقها ومغاربها ويخطر أقطارها ومناكبها، ومن كان فى محل الأمانة من الأولياء فالحق سبحانه يمكنه فى المملكة، ليحصل عنده همة ما أراد، من حصول طعام أو شراب أو غيره، ومن قطع مسافة، أو استتار عن أبصار، وتصديق مأمول، وتحقيق سؤال، وإجابة دعاء، وكشف بلاء وفوق ذلك يمكنه من تحقيق همة له فى أمره، ثم فوق ذلك فى التمكين فى أن يخص بهمته قوما بما شاءوا ويمنع قوما عما شاءوا، فلهم من الحق تحقيق أصل إذا تصرفوا فى المملكة بإرادة فى سوانح وحادثات، وفوق هذا التمكين إيصال قوم إلى منازل ومحال فالله يحقق فيهم همتهم» انتهى .

وقال الورتجيني فى تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنْ

الْكِتَابَ أَنَا آتِيكَ بِهِ ﴿١﴾ « كان القائل به في درجة الاتحاد (٢) والأناية والأنصاف وعين الجمع وجمع الجمع (٣) ، لأن المتصف بالقدرة تجرى عليه تصاريف الملك لغيره رجوعاً إلى الله بنعمة العبودية والخضوع والدعاء ، كصنع من كان في محل العبودية ، لأن من شاهد الربوبية تجرى عليه أوصاف الربوبية بغير اختيار وتكلف ، وإذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فإذا سأل أجيب فيحصل مراده بالدعاء فهو في درجة الكمالات والكرامات لا في درجة الاتحاد والاتصاف » اهـ .

وقال الأستاذ أبو المكارم سيدى محمد البكرى الصديقى رضى الله عنه « وعند الوصي من ألواح النسب الوجودية بالغرقة فى الأنوار الشهودية كل شىء كنت فيه غائباً فالحق عن ذلك الشىء فليس لك إفاقة أو تنفيه فشأنك والحال ما ذكر شأن الهوية الحاكمة القاهرة الغالبة على الأوصاف الكونية . » اهـ . وأشار بقوله « شأنك والحال ما ذكر شأن الهوية » إلى مانبه عليه الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه بقوله « العزيز من الناس من رسخ فى علم الهوية وتصرف فى حكم المشيئة لا بالهوى والشهوة والطبيعة » اهـ .

(١) النمل : ٤٠ .

(٢) الاتحاد هو شهود الحق من غير حلول أو ملايسة كما يحدث من الأجسام للأجسام .

(٣) الجمع : شهود الحق بلا خلق . فالجمع اتصال لا يشاهد صاحبه إلا الحق ، فمتى شاهد غيره فما جمع ، والتفرقة هو ما يكون كسبا للعبد من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية . فالجمع أصل والتفرقة فرع . وكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل

أصل الجمع والتفرقة فى قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو) فهذا جمع .

ثم فرق فقال (والملائكة وأولو العلم)

وقوله (آمننا بالله) جمع . ثم فرق بقوله (وما أنزل إلينا) .

ويقولون : فلان فى عين الجمع ، يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه ، فإذا عاد إلى شىء من أعماله عاد إلى التفرقة . فصحة الجمع بالتفرقة ، وصحة التفرقة بالجمع ، فهذا يرجع حاصله إلى أن الجمع من العلم بالله ، والتفرقة من العلم بأمر الله ولايد منهما . (التصوف الإسلامى الخالص للسيد محمود أبى الفيض المنوفى ص ١٦٢) .

وجمع الجمع : شهود الخلق قائماً بالحق ، ويسمى الفرق بين الجمع . وهذا يتحقق بالفناء . يقول القشيري : التفرقة شهود الأغيار لله عز وجل ، والجمع شهود الأغيار بالله ، وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية ، وفناء الإحساس بما سوى الله عز وجل عند غلبات الحقيقة .

اللهم إنا نسألك إيماناً دائماً ونسألك قلباً خاشعاً
ونسألك علماً نافعاً، ونسألك يقيناً صادقاً، ونسألك
ديناً قيماً، ونسألك العافية من كل بلية، ونسألك تمام
العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك الشكر على
العافية، ونسألك الغنى عن الناس ..

ونسألك المحبة الجامعة ..

وفك وثاقنا من المعصية، ورهاننا من النعمة
بمواهب المنة ..

ونعوذ بك من المعصية وأسبابها ..

وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد
ونزولها ..

خاتمة الفرج

- دعاء أبي ذر بكلمات عشر
- المحبة الجامعة .. ووثاق المعصية .. ورهان النعمة
- ستر الخاصة وستر العامة
- رأفة الحبيب بحبيبه
- الإحسان مع البغض .. والإساءة مع الحب
- يؤيد الله الدين بالرجل الفاجر
- قصة بلعام بن باعوراء .. وبرصيصا
- إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنبه
- الوجوه المسفرة

(قوله اللهم إنا نسألك إيماناً دائماً.. إلى قوله الغنى عن الناس) هو خاتمة الفرع الذى رواه جعفر الصادق رضى الله عنه وعن أسلافه الكرام.

وقال فى نوادر الأصول بسنده عن رسول الله ﷺ أنه أتى جبريل عليه السلام، فبينما هو عنده إذ أقبل أبو ذر رضى الله عنه، فنظر إليه جبريل عليه السلام قال: قلت يا أمين الله أتعرفون اسم أبى ذر؟ قال نعم. والذى بعثك بالحق إن أبا ذر أعرف فى السماء منه فى الأرض وإن ذلك بدعاء يدعو به فى كل يوم مرتين تعجبت الملائكة منه فادع به واسأله عن دعائه فقال رسول الله ﷺ يا أبا ذر دعاء تدعو به فى كل يوم مرتين. فقال نعم فذاك أبى وأمى ماسمعته من بشر وإنما هى عشرة أحرف ألهمنى ربه إياها إلهاماً وأنا أدعو به فى كل يوم مرتين استقبل القبلة فأسبح الله ملياً وأحمده ملياً وأكبره ملياً ثم أدعو بتلك العشر كلمات «اللهم إنى أسألك إيماناً دائماً وأسألك قلباً خاشعاً، وأسألك علماً نافعاً وأسألك يقيناً صادقاً وأسألك ديناً قيماً وأسألك العافية من كل بلية وأسألك تمام العافية وأسألك دوام العافية وأسألك الشكر على العافية وأسألك الغنى عن الناس قال جبريل عليه السلام: «يا محمد والذى بعثك بالحق لا يدعو أحد من أمتك بهذا الدعاء إلا غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر أو عدد تراب الأرض ولا يلقى الله أحد من أمتك وفى قلبه هذا الدعاء إلا اشتاقت إليه الجنان واستغفر له المكان وفتح له أبواب الجنة فنادته الملائكة يا ولى الله ادخل من أى باب شئت»^(١).

قال الحكيم الترمذى قوله «إيماناً دائماً، والدوام على وجهين: وجه أن يدوم له توحيده حتى يختم له بذلك، فلا يسلبه، فيلقى ربنا بإيمانه فيدوم له ذلك أبداً والوجه الآخر أن يكون بعين بصيرته أموراً لا على المعاينة ولا ينقطع ذكر الله عن قلبه على كل حال. ومنه قول أبى الدرداء رضى الله عنه حيث بلغه أن فلاناً أعتق ألف رقبة فقال «إيماناً ملزوماً بالليل

والنهار ولسانا رطبا بذكر الله أفضل من ذلك» قال ابن رواحة «الإيمان مثل قميصك بين أنت لبسته إذ أنت نزعته وبين أنت نزعته إذ أنت لبسته فإذا دام الإيمان على القلب دام الذكر».

ومن ها هنا قال معاذ رضى الله عنه تعالى «حتى نؤمن ساعة» فكان القوم يطلبون دوام الإيمان على قلوبهم . ومن ها هنا قال رسول الله ﷺ «أشد الأعمال ذكر الله على كل حال» فكان القوم يتفقدون هذا من أنفسهم أن تكون كما أمر لأن النعمة من الله تعالى أن يجدوا دوام ذلك الإيمان على قلوبهم فى وقت النعمة وكذلك فى البؤس والشدة فيكونوا عند أحكامه عليهم فى الأحوال مطمئنين به كما اطمأنوا به ربا ، فهذا دوام الإيمان .

وقال أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه «ليأتين على الرجل أحابين وما على جلده موضع إبرة من الإيمان» معناه ما وصفناه بدءا أنه يصير قلبه خاليا من ذكر كل شىء ، وينفرد بالفرد الواحد فيأنس به فيطمئن إلى حكمه فلم يبق شىء من النفاق وإذا غلبت عليه شهوته أو رغبته أو رهبتة أو عمت فملكته نفسه صار إيمانه فى قلبه كشمس قد انكسفت فذهب ضوءه فجاءت النفس بظلمتها ودواعيها فيأتما سأل إيمانا دائما أى يدوم له شمس فلا ينكسف حتى يكون صدره مستنيرا بنور اليقين فى كل الأمور،
ا.هـ.

(قوله قلبا خاشعا) فهو الذى قد ماتت شهواته فذلت النفس لله وخشع القلب بما طالع من جلال الله تعالى وعظمته .

(قوله علما نافعا) فهو العلم الذى قد تمكن فى الصدر وتصور أن ذلك النور إذا أشرق فى الصدر تصورت الأمور حسننها وسيئها ووقع لذلك ظل

فى الصدر فهو صورة الأمور، فىأتى حسنها وىجتنب سئها . فبذلك العلم النافع من نور القلب خرجت تلك العلائم إلى الصدر وهى علامات الهدى . والعلم الذى قد تعلمه فذلك علم اللسان، إنما هو شىء قد استودع الحفظ، والشهوة غلبت علیه وأحاطت وأذهبت بظلماتها ضوءه .

قوله (وىقینا صادقاً) فالیقین على وجهین أن یوقن یقینا ینفى الشك ولا یغلب الشهوة وهو یقین التوحید . والیقین الآخر نور مشرق للصدر غالب للشهوات صارت له أمور الدنیا والآخرة وأمر الملكوت معاينة قد ورث قلبه الخشية والمحبة والهبة والتعظیم لله .

* * *

قوله (ودینا قیما) فالدین القیم الخضوع لله بأمره ونهیه وأن یكون سیره إلیه فى الشریعة على سبیل الاستقامة لازیع فیها ولا بدعة كما وصف الله عز وجل فى التنزیل فقال ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (١) فأمرُوا أن یعبدوا الله فىحلوا ما أحله وىحرموا ما حرمه ویؤدوا الفرائض وىجتنبوا المساخط فإذا دان لله بغير ما شرعت الشریعة لم یقبل منه ولس ذلك بالدین القیم بل هو ساقط، هذا أدناه . وأعلاه أن یدین لله تعالى فلا یلتفت إلى أحد سواه، فىكون هو ثقته وملجأه ومفرغه، ولا یطمئن إلى أحد سواه، فىكون هو متعلق قلبه، فهذا هو الدین القیم (٢) .

* * *

(١) البینة : ٥ .

(٢) قال الزبیدی : (ونسألک دینا قیما) وله مرتبتان، أدناهما السیر فى الشریعة على الاستقامة، وأعلاهما أن یدین إلى الله تعالى ولا یلتفت إلى سواه، وهو ثمرة صدق یقین .

قوله (ونسألك العافية من كل بلية) والبلاء على ثلاثة أضرب :

منها تعجيل عقوبته للعبد ، ومنها امتحانه ليبرز مافى ضميره فيظهر خلقه درجته أين هو من ربه ، ومنها كرامة ليزداد عنده كرامة وقربة^(١) . ثم ضرب لذلك أمثلة ثم قال «ونسألك العافية من ذلك» كله .

والعافية : أن يكون فى كل وجه من هذه الوجوه إذا حل به شىء من ذلك أن لا يكله إلى نفسه ولا يخذله وأن يكلأه ويرعاه فى كل هذه الوجوه . هذا وجه .

والوجه الآخر أن يسأله أن يعافيه من كل شر وشدة فإن الشدة إنما يحل أكثرها من أجل الذنوب فكأنه سأله أن يعافيه من البلاء ويعفو عن الذنوب التى من أجلها تحمل الشدة بالنفس فقد قال ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾^(٢) وقال ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾^(٣) .

قوله (ونسألك دوام العافية) بأن تدوم له ولا تنقطع «تمام العافية» بأن تكون العافية عافية المزيد بل لا شوب فيها^(٤) .

و(الشكر على العافية) فإن الشكر ، به ترتبط النعمة ، ويجلب المزيد .

قوله (والغنى عن الناس) وإنما يستغنى عن الناس إذا استغنى بالله فقيه الخروج من الرق إلى الحرية ومن لم ينقطع طمعه عن الخلق فهو على خطر عظيم من أمر الله وهو مفتون اهـ . كلام الإمام الترمذى والله أعلم .

(١) قال الزبيدى : «ونسألك العافية من كل بلية، أى دنيوية وأخروية .

(٢) الشورى : ٣٠ . (٣) السجدة : ٢١ .

(٤) قال الزبيدى : تمام العافية بسكونها إلى الله تعالى .

(قوله والمحبة الجامعة)^(١) يعنى السالبة للتفرقة والبيئونة بما تقتضيه من المعية والوصلة واعتبر بحديث التقرب وفي بعض رواياته فإذا أحببته كنت له الخ وأما حديث المرء مع من أحب^(٢) فهو شهير .

(قوله وفك وثاقنا من المعصية ورهاننا..) يحتمل العطف على المنصوب قبله فيكون اسما ويحتمل كونه فعل أمر فهو من عطف المفرد على الأول ومن عطف الجمع على الثانى وبحسب ذلك فما بعده إما منصوب على المفعولية أو مخفوض بالإضافة كما هو ظاهر .

ثم إن المعصية بصورتها تمنع من النهوض والإقبال على الحق لتشديدها، ومن السير لتقييدها وتشبيطها عيادا بالله الكريم من ذلك^(٣) .

ثم إن الوقوف مع النعمة حجاب عن شهود المنعم كما قال الإمام الجنيد رضى الله عنه «حجاب قلوب الخاصة المختصة، برؤية النعم، والتلذذ بالعطاء، والسكون إلى الكرامات» اهـ .

وفى كل من ذلك شؤم القطيعة والتفرقة، لكنه فى المعصية أشد فلذلك استعار لها الوثاق وللأخرى الرهان، والخلص من ذلك كله عناية الله لعبده، ثم اللجأ إلى الله وصدق الافتقار إليه والفرار مما سواه ورؤية النعم منه والفرع إليه فى أداء شكره، ذلك كله من عبده بجوده^(٤) .

(١) ذكر الزبيدى والمحبة الكاملة، بخلاف ماورد فى نسخ الحزب الأخرى .

(٢) حديث (المرء مع من أحب) متفق عليه .

(٣) قال الزبيدى: «وفك» و«وثاقنا» أى قيدنا الذى شددتنا به «من» أجل «المعصية» أى لاتوثقنا بقيود معاصيك، لأنها تمنع السلوك إلى الحق، كما أن القيد يمنع السير الظاهر .

(٤) قال الزبيدى: سمعت بعضا من الإخوان يقرأ «ورهاننا من النعمة» بالقاف ويقول إن له وجها صحيحاً، وكأنه يريد أن النعمة هى عقوبة المجرم بمالغة، وقد صار مرتهاً بها، فطلب من الله تعالى فكأك رهنه عن العقوبة بمحض المنة، بحيث تمحى جرائمه، فلا يعاقب عليها . وهذا مع ركاكته وعدم لياقته مخالف للرواية الصحيحة المشهورة، فتأمل ذلك .

(قوله ونعوذ بك من المعصية وأسبابها.. الخ) أنبأ في هذا الطلب عن حال الخُلص الذين مقصدهم التخلص والإخلاص ووجود السلامة من أسباب الانتقاص وقد قال في الحكم «الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون الستر من الله فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق، والخاصة يطلبون الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق».

(قوله وأرأف بنا رافة الحبيب بحبيبه) قال الجوهري «الرافة أشد من الرحمة» قال أبو زيد «رؤفت بالرجل أرؤف به رافة ورأفة ورأفت به ورئفت به أرأف كل من كلام العرب فهو رؤوف على فعول» اهـ.

فاقتضى أنه مثلث الماضي وأن مضارعه بالضم في فعل المضموم وبالفتح في الباقي والأمر جار على المضارع فيضبط الأمر الواقع هنا بالضم والفتح.

قوله (فالإحسان لا ينفذ مع البغض منك)

شاهده أن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر^(١) وغير ذلك كقصة

(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل معه في خيبر أنه من أهل النار. فقاتل الرجل أشد قتال. فجاء رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له قتاله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما إنه من أهل النار؛ فكاد بعض المسلمين يرتاب. وكثرت جراح الرجل وزاد ألمه فانتزع سهما وانتحر به، فاشتد رجال من المسلمين حول الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا له: يا رسول الله صدق الله حديثك قد انتحر فلان فقتل نفسه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة إلا مؤمن. وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر؛ - البخاري.

بلعام^(١) وبرصيصا^(٢) ومايحكى عن شيخ قضيب البان من سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى .

وقد قال عليه الصلاة والسلام «والأعمال بالخواتيم»
وفى الحِكم «لا صغيرة إذا قابلك عدله» ولا كبيرة إذا واجهك
فضله» .

وفى الحديث «من نوقش الحساب عذب»^(٣) .

* * *

(١) هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن أيد بن مارت بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهى مدينة الجبارين . وقصة بلعام على ما ذكر ابن عباس وابن إسحق والسدى والكلبي وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بنى كنعان ، أتى قوم بلعام إلى بلعام ، وكان عنده اسم الله الأعظم ، فقالوا له إن موسى رجل حديد وجاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا وأنت رجل مجاب الدعوة ، فادع الله أن يرد عنا موسى وقومه . فقال لهم بلعام ويلكم هذا نبي الله ومعهم الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم وإني إن فعلت ذلك ذهبت دنياى وآخرتى . فلم يزالوا به حتى قال لهم اصبروا حتى أستامر ربي . وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به فى المنام ، فقبل له فى المنام «لا تدع عليهم» فذكر هذا لقومه ، فراجعوه ، فقال حتى أومر تانيا فأمر فلم يجب ، فقالوا له لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما فعل فى المرة الأولى ، فلم يزالوا يرفقون به ويناشدونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتن ، فقالوا لبعضهم اهدوا إليه ، فأهدوا إليه هدية فقبلها ويقال إن فى شأنه نزل قوله تعالى «واتل عليهم نبأ الذى آتيناہ آياتنا فانسلخ منها» الأعراف : ١٧٥ .

(٢) برصيصا هو الذى نزل فى حقه قوله تعالى فى سورة الحشر «كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين» وكان برصيصا راهبا فى الفترة ، تعبد الله فى صومعته سبعين سنة ، لم يعص الله فيها طرفة عين ، حتى أعيا إبليس . تركت عنده امرأة أصابها لم ليدعو لها ، فزين له الشيطان فوطئها ، فحملت ، ثم قتلها خوفا أن يقتضح ، فدل الشيطان قومها على موضعها ، فجاءوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه ، فجاء الشيطان ، فوعده أنه إن سجد له أنجاه منهم ، فسجد له ففترأ منه فأسلمه .

(٣) عن عائشة رواه البخارى ومسلم - والطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن الزبير بلفظ هلك» .

(قوله والإساءة لاتضر مع الحب منك وقد أبهت الأمر علينا) شاهده حديث «إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنبه»^(١) ذكره في القوت في كتاب المحبة .

وفي الصحيح «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم» وسببه معلوم .

وفي القوت أيضاً عن زيد بن أسلم «إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول له اصنع ما شئت قد غفرت لك» .

وفي نوادر الأصول على حديث «هؤلاء للجنة ولا أبالي في قبضة اليمين، وهؤلاء للنار ولا أبالي في قبضة الشمال»؟ قال : «يريد - والله أعلم - بقوله ولا أبالي أى لا أبالي بما يعملون من خير أو شر، فأقبل خيرهم وأغفر شرهم كما قال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾^(٢) وهو الوعد الذى وعدهم حيث ضرب بيده إليهم جل ثناؤه ثم قال لهم «أنتم لى عملتم أو لم تعملوا»، وكان أيضاً النور الذى ألقى عليهم فى البدء دون الآخرين» اهـ .

قال فى القصد «يبلغ الولي مبلغا يقال له أصحابناك السلامة وأسقطنا عنك الملامة فاصنع ما شئت». ومصادقه قوله تعالى فى حق سليمان عليه الصلاة والسلام ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣) وهذا

(١) حديث أنس «إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب . والتائب من الذنب كمن لا ذنب له» ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده فى مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثانى من حديث ابن مسعود .

(٢) الاحقاف : ١٦ .

(٣) ص : ٣٩ .

وإن كان للنبي من حيث العصمة، فلمن كان من الأولياء في مقام الأمانة فسقط منه من أجل الحفظية.

وقد قال واضع الحزب رضى الله عنه فى دعاء له^(١) «وأدرج أسمائى تحت أسمائك وصفاتى تحت صفاتك، وأفعالى تحت أفعالك، درج السلامة وإسقاط الملامة وتنزل الكرامة وظهور الأمانة». يعنى ليكون بالله فيما يأتى ويذر كما نبه عليه حديث التقرب، ورجاله رجال القبضة الذين هم بالله فيما يأتى ويذر كما نبه عليه حديث التقرب، ورجاله رجال القبضة الذين هم بالله عز وجل تصريفاً وتكليفاً وقد تقدمت الإشارة إلى هذا فى الفرق بين معصية الولى وغيره، وحاصل ذلك عدم العزم على القبيح ابتداءً، ونفى الإصرار عليه انتهاءً، فالتوبة لازمة لاتنكف عنه، وهى ماحية للذنوب ما حصلت قبل الموت. فلا تضر معها الذنوب الماضية. وقد تقدم سؤال سر الأسرار المانع من الإصرار^(٢) وعليه يصدق قوله عليه السلام «إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب».

وفى نواذر الأصول أيضاً «من خصه من أهل بالتقرب بالجلال والجمال وقد أقيم فى الهيبة والأنس قدرا غاب عن خوف العقوبة ولكن يخاف التحويل والهوى والسقوط لما ركب فى نفوس بنى آدم من الشهوات، فهو أبدا يهوى بما أحبه عن الله إلى الإخلاق والبطنة، وإنما يسكن خوف التحويل إلا إذا خلص إلى الفردانية، وتعلق بالوحدانية ليتلاشى الهوى منه والشهود بكشف الغطاء ولا يذهب خوف ذلك وإن سكن لبقاء خيال ذلك فى حق غير الأنبياء أما الأنبياء فلم يبق لهم ظل الهوى، فبشروا بالنجاة فلم تضرهم البشرى لأنهم لم يبق لهم نفوس فتشور وتجردت إذ أمنت السقوط، ومن بعدهم بقى لهم فى نفوسهم شىء فمنعوا البشرى

(١) راجع المفاخر العلية، طبعة ١٩٦١، مصطفى الحلبي، ص ٢١٨.

(٢) تراجع فيما سبق من هذا الكتاب.

وأبهم عليهم الأمر منعا لهم ونظروا فى أحوالهم لتكون أنفسهم منقمعة بخوف الزوال ، هذا هو الأصل فافهمه ، هذا بعد أن قرر أن الشوق وحزن القلب من أجله لا يذهب عن المجدوب المحدث ، وإن كان بينه وبين مولاه من الأسرار ما يسكن عنه خوف التحويل ، وإنما يتوهم ذلك من وقف فى الجلال والجمال فسكن شوقه بلذة ما نال من القرب فانظره .

(قوله وأسفرو وجوهنا بنور صفاتك) يعنى أضئها وأشرقها بنور أوصافك حتى تنظر إليك وبك وتبقى ببقائك .

قال ابن عطية على قوله تعالى ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾^(١) . أسفر تلك الوجوه نظرها إلى مولاه وأضحكها رضاه عنها .

قال ابن طاهر « كشف عنها ستور الغفلة فضحكت بالدنو من الحق واستبشرت بمشاهدته » .

(قوله ولا أقل من ذلك) الواقع فى الحديث « طرفة عين » وأما « ولا أقل من ذلك » فهى وإن لم تقع فهى مراده له ومنه ، لأن مقصوده دوام الكلاءة والحفظ على الإطلاق .

يامن هو هو، هو فى علوه قريب
يامحيطا بالليالى والأيام. أشكو
إليك من غم الحجاب، وسوء الحساب،
وشدة العذاب، وإن ذلك لواقع ماله من
دافع إن لم ترحمنى.

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت
من الظالمين ولقد شكَا إليك يعقوب
فخلصته من حزنه ورددت عليه ماذهب
من بصره..

هَذَا عَبْدُكَ

- الإشارة إليه تعالى باسم «هو»
- تنزيه الله عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة
- وصية عبد السلام بن مشيش لأبى الحسن الشاذلى
- أشرق نور الله فى قلوب أوليائه.
- إحاطته بالليالى والأيام
- الشكوى من غم الحجاب
- سؤال الرحمة
- دعاء ذى النون
- فضل الله على أنبيائه وأصفياه
- كلام فى حال البسط والإدلال
- من دعوات أبى العباس المرسى
- دعاء الحسن بن على عند باب المسجد

(قوله يامن هو هو) قال القشيري في تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ «يقال كاشف تعالى الأسرار بقوله هو، والأرواح بقوله الله، وكاشف القلوب بقوله أحد، وكاشف نفوس المؤمنين بباقي السورة، ويقال خاطب الوالهيين بقوله هو، والموحدين بقوله الله، والعارفين بقوله أحد، والعلماء بقوله الصمد، والعقلاء بالباقي»^(١).

ثم قال «ويقال خاطب الذين هم خاصة الخاصة بقوله هو فاستبقوا، ثم خاطب الخواص بقوله الله فاستقلوا، ثم زاد في البيان من نزل عنهم فقال أحد، ثم لمن نزل عنهم بالصمد، كذلك لمن دونهم» اهـ.

ثم قال «وفي نوادر الأصول» هو اسم لا صفة من الهوية وخرجت الصفات أي «هو» إشارة القلب إلى المعروف الموصوف. ألا ترى إلى قوله (هو) ثم قال (الله الذي لا إله إلا هو) ثم قال الخالق فهو أصل الأسماء وإليه يشير القلب لأنه الباطن الذي لا يدري كيف ولا يدرك اهـ.

والحاصل أن الإشارة بهو مختصة بأهل الاستغراق والتحقق في الهوية الحقيقية فلا يطابق بحر الأحدية عليهم وانكشاف خط بحر الوجود الحقيقي لديهم فقدوا من يشار إليه بهو إلا هو لأن المشار إليه لما كان واحدا كانت الإشارة مطلقة لا تكون إلا إليه لفقد ماسواه في شعورهم، لفنائهم عن الرسوم والبشرية بالكلية وغيبتهم عن وجودهم وعن إحساسهم وأوصافهم الكونية وذلك غاية في التوحيد والإعظام، منحنا الله ذلك على الدوام وجعلنا من أهله ببركة رسوله عليه الصلاة والسلام.

(١) قال الشيخ الأكبر «اعلم أن الهوية سر الإلهية وهو عبارة عن موجود أزلي منفرد بصفة الجلال والكمال، و(هو) أول كلمة دعا الله عباده إليها بقوله (قل هو) فتم الكلام. ثم قال (الله) وهو الاسم الجامع مع الخاص الدال على الذات الأحدية بجميع أجزائه الحرفية وحقائقه الوصفية».

(قوله هو فى علوه قريب) يعنى لإحاطته بالأشياء بنعت كونه «الأول والآخر والظاهر والباطن» .

قال بعضهم «الحق تعالى منزّه عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة ومع ذلك لا يخلو منه أين ولا مكان ولا كم ولا كيف ولا جسم ولا جوهر ولا عرض لأنه للطفه سار فى كل شىء، ولنورانيته ظاهر فى كل شىء ولاطلاع إحاطته بكل شىء فكيف بكل كيف غير متقيد بذلك ومن لم يدر هذا ولم يشهده فهو أعمى البصيرة محروم عن مشاهدة الحق» اهـ.

وقال سيدى محمد وفا رضى الله عنه :

مفيض الكل فى الجزء المفيد	تعالى الله قيوم البرايا
نزيه فى المراد وفى المرید	تجلى فى تمثله بوجهه
هو الرحمن ذو العرش المجيد	هو الحق المحيط بكل شىء
هو الرب المحجب فى العبيد	هو النور المبين بغير شك
فيخفيه الشهود عن الشهيد	هو المشهود فى الأشياء يبدو
هو المقصود فى البيت القصيد	هو العين العيان بكل غيب
سجود فى القريب وفى البعيد	جميع العالمين له ظلال
فكف النفس عن طلب المزيد	وهذا القدر فى التحقيق كاف

وقال الشيخ القطب سيدى عبد السلام رضى الله عنه مخاطبا لوارثه رضى الله عنه فى وصية له وحده «انظر ببصر الإيمان تجد الله تعالى فى كل شىء وعند كل شىء ومع كل شىء وقبل كل شىء، وبعد كل شىء وفوق كل شىء وتحت كل شىء وقريبا من كل شىء، ومحيطا بكل شىء بقرب هو وصفه، وبحيطه هى نعته، وعد عن الظرفية والحدود، وعن الأماكن والجهات وعن الصحبة والقرب والمسافات، وعن الدور بالمخلوقات وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هو كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ما هو عليه كان» اهـ.

ونبه بقوله وعد الخ على أن ماجرى فى كلامه من الظروف ليست بزمانية ولا مكانية لأنها من جملة الأكوان وإنما هى أمور دقيقة فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وسلم ذلك لأهله لأنهم على بصيرة فيما رمزوا إليه مما ذاقوه ووجدوه بل هو من محض الإيمان وخالص العرفان وهو حقيقة التوحيد وصفو الإيمان. وأما قوله «وهو الآن على ما هو عليه كان» وإن لم يرد فى الحديث فهو صحيح من جهة أن الشيء إنما يتعدد بوجود مثله ويشفع بشكله. وفى الحقيقة لا وجود للأشياء معه تعالى وإنما هى كالخيال ووجود الظلال فلا تنسخ أحديته ولا تدفع فردانيته وبالجملة فمن غلب عليه شهود الأحدية وكوشف بسر الوجدانية واستغرق فى الحقيقة العيانية انقطع عن الشعور بنفسه وغاب عن السوى بالكلية وإن رد إلى الشعور به رآه قائما به وظاهرا فيه وبه وحكما من أحكامه.

وقد نبه على ذلك فى الحكم بقوله «الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون - بغير أن رد إلى رؤيته - ثم لم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أوزعه بل أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شمس المعارف بسحب الأثار».

وقوله فى لطائف المنن بعد كلام «أشرق نوره فى قلوب أوليائه واستنارت به سموات أرواحهم وأرض نفوسهم وأشباحهم إليه دون السموات والأرض نور سموات الأرواح بمشاهدته ونور أرض النفوس بمطالعتة وخدمته وجعل قلوبهم مجالات لذاته ولظهور صفاته وأظهرهم ليظهر فيهم بأنوراه وأساراه كما ظهر فيهم وفيما عداهم بقدرته واقتداره اهـ.

وقال الشيخ أبو زيد البخارى فى كتابه (شمس القلوب) وإذا صحب القلب التوفيق صار مسرجا يستصبح فتيلته من أنوار الكرامة فترق الزجاجة بعد كشافتها ويظهر النور من جوانبها من شدة رقة صورتها

فتحسبه نورا بلا زجاجة لما رقت صورة الزجاجاة وبرقت تشاكل ، تميز صورة الزجاجاة من النور فلما غاب الفهم عن تمييز الزجاجاة من النور امتحق الشعور بالفناء ولما ظهر النور من جوانبها وفاض وقع فناء الشعور بالفناء فى فناء آخر وفقد الشعور بهما جميعا فغاب كل محدث وبقى كل من لم يزل فالنور إذا ظهر من جوانب الزجاجاة وفاض لم يحجبه عن الله سماء ولا أرض ولا كرسى ولا عرش ولا شىء من الحوادث وإنما تحجبه كثافة صورة الزجاجاة لاغير فإذا ظهر النور من جوانبها ضاها فى المثل نور العين إذا انفتحت جفونها ، واقتباس نور الزجاجاة من النور الأعلى ومنه كان اقتباس كل قلب أيد بالخصوصية فمنه اقتبس الرسل عليهم الصلاة والسلام فأورثهم منصب النبوة والرسالة ومنه اقتبس الأولياء رضى الله عنهم فأورثهم درجة الولاية . فالرسل فى المثل شمس والنبيون قمر والأولياء كواكب . فبالشمس يستضاء والقمر يستنار وبالنجم يهتدى فالرسل حجة الله على عباده وأماؤه فى أرضه ، والأولياء رحمة منه على خلقه . اهـ .

وما أوضحه من التمثيل بالزجاجاة سبقه إلى مثله الجنيد فقد سئل عن التوحيد فأشده فى المعنى :

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابهها فتشاكل الأمر
فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر

والبيت الأخير يشير إلى الغيبة والحضور وعلى الجملة فكل ذلك مقتبس من القرآن ، وضرب المثل لنوره تعالى فى قلب المؤمن بالمصباح فى الزجاجاة وهو جلى عند كل ذائق فاض سره وأشرق قلبه وتجلى له ربه . وفى مقطعات التسترى وأزجاله كثير من الإشارة إلى مراده .

(قوله يا محيطا بالليالى والأيام) منادى منصوب لأنه شبه بالمضاف فتعلق المحرور به وإحاطته تعالى بالليالى والأيام وبكل شىء معلومة فقد

قال تعالى ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (١) ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٢) ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (٣) وقد قال واضع الحزب يوماً بين يدي أستاذه رضى الله عنهما «اللهم اغفر لى يوم لقائك» فقال له هو أقرب إليك من ليلتك ونهارك ولكن الظلم أوجب الضلال وسبق القضاء حكم بالزوال عن درجات الأُنس ومنزلة الوصال وللظالم يوم لا يرتاب فيه ولا يحتال والسابق من ضل فى الحال ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٤).

(قوله أشكو إليك من غم الحجاب) أى أستعيذ بك من وقوعه وأستعيذ بك منه وهو حقيق أن يستجار بالله منه وأن يلجأ إلى الله فى رفعه ودفعه لأنه مانع للعبد من سعادته وكماله، وقطع له عن حياته ووصاله وحط له عن أوج ارتفاعه فى أطوار ارتقائه وإلى حضيض دركات طبعه وانتقاله فى شهواته وهواه وحظوظه وبعده عن استقامته فى فطرته . وفى الحكم «النعيم وإن تنوعت مظاهره إنما هو بشهوده واقترابه والعذاب وإن تنوعت مظاهره إنما هو بوجود حجاب فسبب العذاب وجود الحجاب وإتمام النعيم بالنظر إلى وجه الله الكريم».

(قوله وإن ذلك لواقع ماله من دافع إن لم ترحمنى) يعنى أن الحجاب وما ذكر معه وتسبب عنه من كل عذاب يواجهه العباد واقع بهم إن لم تدركهم الرحمة منه تعالى وقد قال تعالى ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ (٥) الآية وفى الحديث «ان يدخل

(٣) الجن : ٣٨ .

(٢) الطلاق : ١٢ .

(١) فصلت : ٥٤ .

(٥) النور : ٢١ .

(٤) مريم : ٣٨ .

أحدكم الجنة بعمله» قالوا ولا أنت يارسول الله قال «ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته»^(١). وفي الحكم «لو أنك لاتصل إليه إلا بعد فناء مساويك وترك دعاويك لم تصل إليه أبدا ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه».

قوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) أتى بهذه الآية عقب شكواه من غم الحجاب وما ذكر معه، لما ورد أنه لم يدع بهذا رجل مسلم فى شىء قط إلا استجيب له وأنه لكل من المؤمنين إذا أصابه هم أو استقبله غم نجاه الله منه كما نجى ذا النون لقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) وفيه إشارة إلى أن الإيمان كان فى الاتجاه مع اللجأ والاعتراف والاستسلام وقال فى نواذر الأصول «أنه مادعا بدعاء ذى النون هذا مسلم فى شىء إلا استجيب له» كما ورد فى الحديث. ثم قال وهذا لمن أصابه غم الذنب، فنادى من الغم كما ناداه العبد الصالح فنجاه من الغم فمن لم يكن له غم الذنوب فنادى بها لم يدخل عندنا فى الوعد الذى قال الله ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلا أن يتفضل الله والله أعلم.

(قوله ولقد شكنا إليك... الخ) كل ما ذكره معلوم من قصص القرآن ولكن استشهد به لسابق حسن عوائده تعالى مع أنبيائه وأصفيائه استجلابا لفضله تعالى فى تذكر سابق فضله تعالى وكرمه، مع ما يثيره من قوة الرجاء من العبد فى ربه وحسن الظن به لوفور جوده وكرمه

(١) رواه أحمد فى مسنده «لن يدخل أحدكم الجنة إلا برحمة الله».

(٢) الأنبياء : ٨٧ .

(٣) الأنبياء : ٨٨ .

وحسن معاملته مع عباده بمحض الفضل الذى لا يتخلف لعله ولا سبب .
ولقد قال تعالى مخبراً عن زكريا عليه السلام ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾^(١) . يعنى أنك عودتنى الإجابة فيما سبق فكما لم تخيبنى فيما مضى فلم تخيبنى فيما يأتى ؟ أى لم تكن تشقنى بالرد فإنه يقال لكل من سعى فى أمر فبطل سعيه فقد شقى وإذا أدرك فقد سعد به وهو توسل لفضله تعالى كما تقول « أحسن إلينا كما أحسنت إلينا عام أول » لأن ذلك - أعنى الجود - وصفك فيه الثناء بوصف الجود . وذلك يقتضى العطاء لما فيه من الاستعطاف وماتضمنه من الاعتراف الذى هو حقيقة الشكر الكفيل بالمزيد . هذا وقد تقدم « والشقى حقاً من أحرمته مع كثرة السؤال لك » والكلام عليه .

(قوله فأنا حقيق به) يعنى لما علم ماجبل عليه العبد وطبع من غاية النقص الذاتى المناسب لغاية الإقصاء والإبعاد من جانب الحق وحضرة قدسه ومحل قربه لولا عنايته تعالى وتدارك رحمته . على أنه بكل حال لا يقدر قدر ربه فهو من أجل ذلك يستحق المقت والعذاب فيما يظن أنه عين الأدب ، ويستجلب العطب فيما به قد يتقرب لأن عبادة العالم بأسره بالنسبة لعظمة المعبود وما هو عليه من الرفعة والجلال وما يقتضيه من الاعظام ، كمن يقتصر فى خدمة ملك من الملوك يستحق أن يخبر له على وجهه على أن يشير إليه بأصبعه . ولذلك شرع « الله أكبر » فى الصلاة مع تضمينها الخضوع للمعبود وتعظيمه إشارة إلى أنه أكبر من ذلك العظيم . ولكنه تعالى برأفته ورحمته رضى من العبد بما هو منه ، ويستحيل أن يصل نفعه إليه . هذا فى الطاعة فكيف بالمعصية فهو أجدر بالمقت من أجلها . على أن الكل ملك له تعالى ولا حجر عليه فى تصرفه فى ملكه بما شاء

وكيف شاء ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾^(١). وقد قال مخبراً عن عيسى عليه السلام ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٢). هذا وقد تقدم أن الحجاب سبب في كل عذاب والنقص البشرى سبب له لزوماً لولا تدارك الرحمة الإلهية التي لاعلة لها والله أعلم.

* * *

(قوله إلا لمن أحسن إليك) رأيت بخط سيدي عبد النور رحمه الله تعالى على قوله (إليك) «هذا وكذا على قوله أساء إليك بعد ما صورته كذا، وذلك لأنه محل الإشكال، وتوهم المخالفة لقوله تعالى ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسِكُمْ ﴾^(٣).

وكذا وجدت منسوبا لسيدي عبد الله بن عياد ما نصه ينبغي أن يسقط إليك من قوله «أحسن وأساء» لأنه لا يحسن أحد إلى الله ولا يسيء إليه. بدليل قوله ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾^(٤). غير أنه لا يقدر أحد أن يبدل لفظ الشيخ رضى الله عنه. لأنه يرى بنور الولاية ما لا يراه غيره».

وقد قال رضى الله عنه أيضاً: «كثيراً وما رأيت في النسخ الصحيحة مكتوبا على هذا الفصل «من كان له مع الله بسط حال إدلال فليتم بهذه الكلمات ومن ليس له ذلك فليجاوزها إلى ما بعدها من قوله ربنا ظلمنا أنفسنا» اهـ.

(١) الأنبياء: ٢٣ .

(٢) المائدة: ١١٨ .

(٣) الإسراء: ٧ .

(٤) الإسراء: ٧ .

وقال البرزلى «رأيت فى بعض النسخ على هذا الموضوع وهى التى قد أخذناها عن شيخنا الحسن البطونى عن الشيخ أبى العزائم سيدى ماضى عن الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه يسلم لهذا الشيخ فى هذا الموضوع ولا يقاس عليه» اهـ.

هذا وقد يقال قد أوماً الشيخ فى هذا المحل لدفع هذا الوهم والمخالفة بقوله «وأنت المفضل الغنى» وإنما جاء الكلام كذلك على سبيل الفرض بالنظر لصورة الحال وما يقصده العبد من النصح لجناب الحق والوفاء لما يستطيعه ويقدر عليه فى عزمه وصميمه ووجود ضد ذلك منه فقد جاء النظر لصورة الظاهر واعتباره فى الشرع كقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (١) الآية مع أن إطلاق ذلك فى حقه تعالى إنما هو على سبيل المجاز لتعذر الحقيقة فى ذلك ويشهد لذلك الحديث الإلهى «ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى» الحديث (٢).

وقال فى نواذر الأصول «النصح لله تعالى هو الإقبال عليه بالعبودية فإن من شأن العبد أن يرفض جميع مشيئاته لمشيئة مولاه» ثم قال «فيكون فى سره وعلايته قد آثر الله على هواه وآثر حق الله على شهوات نفسه وهذا النصح لله» فإذا خالط فيه ما ليس منه، كانت العبودية لله مغشوشة والغش ضد النصح. ثم قرر أن هذا التعريف فى حق المقتصد وأما المقرب الملاحظ فى الأمور لله لما هو عليه من ذكر الله، فالحظوظ فى حقه حقوق لأنه مع تدبير الله. اهـ.

هذا وفى دعاء لواضع الحزب رضى الله عنه «واجعلنا برحمتك جميعاً من المقبولين وإن كنا زائعين فإن النقاد يسمحون وإن كانوا عارفين فأنت

(١) الأحزاب : ٥٧ .

(٢) من حديث قدسى أوله «إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرماً بينكم»، رواه مسلم وابن حبان والحاكم.

أولى بذلك منا وأنت أكرم الأكرمين وأجود الأجودين».

وفي حزب وارثه سيدي أبي العباس المرسي رضى الله عنه «إلهي كم من حسنة ممن لا تحب لا أجر لها وكم من سيئة ممن تحب لا وزر لها فاجعل سيئاتي سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتي حسنات من أبغضت فإن كرم الكريم مع السيئات أتم منه مع الحسنات فأشهدني كرمك على بساط رحمتك» وهو قريب من الواقع هنا في الحزب والله أعلم.

وقد قال تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾^(١). وفي الصحيح قال النبي عليه الصلاة والسلام «أتى الله عز وجل بعبد من عباده آتاه مالا فقال له ماذا عملت في الدنيا ولا يكتمون الله حديثا. قال يارب آتيتني مالك فكننت أبياع الناس وكان من خلقي الجواز فكننت أيسر على الموسر وأنظر المعسر» وفي رواية كان يأمر غلمانة أن يتجاوزوا عن المعسر، فقال الله عز وجل «أنا أحق بهذا منك تجاوزوا عن عبدي فتجاوزوا عنه»^(٢).

وجاء في الحديث الدعاء بيا حسن التجاوز وغير ذلك وفي القرآن (خير الغافرين) وكان الحسن بن علي رضى الله عنهما إذا أتى بباب المسجد رفع رأسه وقال «إلهي عبدك ببابك. يامحسن قد أتاك المسيء، وقد أمرت المحسن منا أن يتجاوز عن المسيء، فأنت المحسن وأنا المسيء، يا متجاوز تجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم» اهـ.

فإذا علم هذا ومثله من موارد الشرع في حقه تعالى ووعدته تعالى بذلك وإخباره به عن نفسه فسؤال ذلك وحكايته والإخبار بحقيقته وتصوير حقيقته والتعلق بذلك الفضل الموعود به الذي هو أحق به بل هو

(١) الرعد : ٦ .

(٢) رواه مسلم بالفاظ مقاربة - راجع الكنز الثمين في أحاديث الأمين لعبد الله بن محمد الصديق - ص ٧ ، حديث ٣٩ .

أحق به بل لا ينبغي لغيره، وإنما خلقه في غير دلالة عليه وتصويرا لفضله مع كونه أثرا من آثار رحمته لأدرك على مستعمله ولا خلل يتوهم عليه على أن الكلام خرج مخرج الدلالة لما قبله فكأنه قال «ليست رحمتك موقوفة على الطاعة ولا كرمك مخصوصا بالمطيع» توقف المسبب على السبب وترتبه عليه واختصاصه به عقلا جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل وتقديس فضله وغناه عن خلقه وعن أعمالهم عن ذلك وأشار إلى ذلك بقوله «وأنت المفضل الغني» وكذا «الرحيم العلي» ففي ذلك التنزيه اللائق به تعالى من رحمته لعبده في غيب علوه واقتداره مع عصيانه وعدم اختصاص رحمته وفضله بالمطيع لغناه عن طاعته وهذا كله تصوير لغاية المجد والكمال .

وفي حديث مسلم فيما يرويه عليه الصلاة والسلام عن ربه «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا» ثم قال «إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»^(١). وفي التفسير في قوله تعالى إخبارا عن عيسى عليه السلام ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢) ولم يقل الغفور الرحيم، قال «لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد حكمه» وهو العزيز أي الغالب . ثم وجب أن يوصف بالحكيم على سبيل الاحتراز، لئلا يتوهم أنه خارج عن الحكمة، يعني مافى ذلك من الإشارة للإضراب عن الأسباب والعلل في بساط التحقيق حيث لم يقل إن تعذبهم فقد استحقوا ذلك واستوجبوه بإساءتهم والله أعلم .

(١) من حديث «إني حرمت الظلم على نفسي...» وقد تقدم .

(٢) المائدة : ١١٨ .

يا هو يا هو يا هو ..
 إن لم تكن لرحمتك أهلاً أن ننالها،
 فرحمتك أهل أن تنالنا ..
 يارباه .. يارباه .. يارباه ..
 أعثنا .. أعثنا .. أعثنا ... يارب يا كريم ..
 وارحمنا يابر يارحيم .. يامن وسع كرسيه
 السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو
 العلى العظيم

رَحْمَتِكَ أَهْلٌ أَنْ نَنَالَكَ

- «هو» .. نهاية التحقيق
- الإشارة بـ «هو» مختصة بأهل الاستغراق
- رحمة الله أهل أن ينالها العصاة
- أحب صوت إلى الله .. صوت عبد لهفان ينادى «يارباه»
- سبب دعاء أبى الحسن الشاذلى «يامن وسع كرسيه ..»
- مقام المشاهدة والمراقبة والحضور ..

(قوله ياهو) قال صاحب التحبير^(١) اعلم أن هذا الاسم موضوع للإشارة و«هو» عند الطائفة إخبار عن نهاية التحقيق و«هو» يحتاج عند أهل الظاهر إلى صفة تعقبه ليكون الكلام مفيداً لأنك إذا قلت هو ثم سكت لا يكون الكلام مفيداً حتى تقول قائم أو قاعد أو حي وما أشبه ذلك . فأما عند القوم إذا قلت «هو» فلا يسبق إلى قلوبهم غير ذكر الحق جل جلاله فيكتفون به عن كل بيان لاستهلاكهم في حقائق القرب وذلك باستيلاء ذكر الله على أسرارهم وامتحائهم عن شواهدهم فضلاً عن إحساسهم بمن سواه . اهـ .

قال القشيري : وقد قدمنا أن الإشارة بهو مختصة بأهل الاستغراق والتحقيق في الهوية الحقيقية فلا نطابق بحر الأحدية عليهم وانكشاف الوجود الحقيقي لديهم فقدوا من يشار إليه بهو إلا هو ، لأن المشار إليه لما كان واحداً كانت الإشارة المطلقة لا تكون إلا إليه لفقد ما سواه هذا مقتضى حال القوم من وجدانهم وذوقهم فهو عندهم اسم مستقل بمعناه لضمير غيبة كما هو موضوع في أصله بل نقل وصار العرف عندهم بإطلاقه على الله كإطلاق سائر الأسماء الظواهر . ولذلك ساغ نداؤه وإدخال «يا» عليه وليس هو عندهم ضمير غيبة فيعترض بأنه لم يسمع في كلام العرب إلا نداء ضمير الخطاب على خلاف فيه حتى قال الإمام أبو حيان في شرح التسهيل «فكلام جهلة الصوفية في قولهم (ياهو) و (ياذا) ليس جارياً على كلام العرب وذلك بناء منه على أنه ضمير غيبة في كلامهم لجهله بحالهم ومقاصدهم والحكم على الشيء فرع عن تصوره ومن جهل شيئاً عاداه . وقد قيل لا تجعلوا لأهل الظاهر حجة على أهل الباطن ، فمن نسبهم إلى الجهل فهو أحق به لأنه كذب بما لم يحط به علماً . وقد قال تعالى

(١) كتاب «التحبير في التذكير» للإمام القشيري .

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(١). فمن اعترض عليهم من غير ذوق
لحالهم فقد تعدى طوره وجهل قدره.

(قوله إن لم تكن لرحمتك أهلاً أن ننالها فرحمتك أهل أن تنالنا) يعنى
إن لم يكن لنا وصف الاستحقاق لنيل الرحمة من جهة النقص الذاتى لنا،
فـرحمتك أهلية الإنالة لإطلاقها وعدم تعليقها. وتلخيصه أن عدم الأهلية
كما هو ذاتى فى العبد لنقصه فكذلك أهلية الرحمة للإنالة المطلقة ذاتى
لكماله تعالى وغناه على الإطلاق.

قال فى نوادير الأصول «إن لم تكن معشر العصاة المذنبين أهلاً لرحمته
أن ننالها فرحمته الواسعة أهل أن تنالنا».

(قوله يارباه) قال فى نوادير الأصول بسنده إلى رسول الله ﷺ أنه قال
«ممن صوت أحب إلى الله من صوت عبد لهفان» قالوا «يارسول الله وما
اللهفان؟» قال «عبد أصاب ذنباً فكلما ذكر ذنبه امتلأ قلبه فرقا من الله
فقال يارباه».

قال الحكيم هذا نداء توجع وحرقة. وكذا يعرف أهل اللغة أنهم إذا
أرادوا ينادوا بتوجع وصلوها بمد وهاء فقالوا «يافلاناه» ليعبر التوجع فى
المد ويكون الهاء معتمداً، يسكت عليه، فيكون المد أنينا وأسفاً.

فانظر كيف صرح بأنه نداء توجع فيكون على هذا من باب الندبة
لأنها من نداء متوجع عليه ومتوجع منه. والمتوجع منه إما لكونه محل ألم
كقوله :

«فوا كبدى من حب من لا يحبنى»

وإما لكونه سبب ألم كوامصيبته ووارزيتاه، ومن هذا يارباه لأنه نداء إشفاق وفرق من المنادى أن يعذبه بذنوبه ويؤاخذه بها. ومثله ما رأيتُه بخط الغساني وهو من أشياخ القاضى عياض معلقا على قول بنت النضر ابن الرشاني شعرها الذى كتبت به إليه ﷺ لما انصرف من بدر وقد قتل أباه النضر بعد أبيات وهو :

أحمد ولدتك خير نجيبة فى قومها والفضل فحل معرق

يروى أحمد بالرفع وبالنصب وعليه أرادت يا محمدا نداء ندبة . ١ . هـ .

فصرح فيه بالندبة وليس متفجعا عليه بل هو متوجع منه لكونه سبب ألم كما قررناه فى يارباه . لكن انظر ماقاله الغساني مع قول النحاة أن الندبة لاتكون إلا بياء أو واو ثم إنه لايتعين فى يارباه ونحوه أن يكون من باب الندبة إذ يحتمل الاستغائة، وقد نص غير واحد من النحاة على أن لام الاستغائة يعقبه الألف فيقال بالزيد ويازيذا ولايجتمعان . ويجوز معها أن يأتى بعد الألف بهاء السكت كما فى الندبة ساكنة ويجوز تحريكها فى الوصل تشبيها بهاء الضمير وكذلك فى الندبة . وأما قوله يامولاه فإنه يجرى فيه ماتقدم .

(قوله يارب) الرواية فيه بضم الباء بناء على أنه معروف بالقصد والإقبال لا لى معنى الإضافة، وبذلك يتجه ويتضح كونه مفيدا للربوبية المطلقة . لا المخصوصة بالتكلم على ماتقتضيه الإضافة فيكون مع الإطلاق أبلغ وأمدح .

(قوله يامن وسع كرسيه السموات والأرض .. الخ) فى ابن الصباغ بعد ذكره حكاية الشيخ رضى الله عنه مع سلطان تونس وما وقع له معه على يد ابن البراء رضى الله عنه قال «فهمت أن أدعو على السلطان» فقيل له

«إن الله لا يرضى لك أن تدعو بالجزع من مخلوق» فألهمت أن أقول «يامن وسع كرسيه السماوات والأرض..» إلى قوله «قدير»^(١).

(١) كان الأستاذ الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه يتعبد فى الشاذلة ثم قيل له : يا على اهبط إلى الناس ينتفعون بك» فدخل تونس وسكن بمسجد البلاط وأقام به مدة إلى أن اجتمع إليه خلق كثير، فسمع به الفقيه أبو القاسم بن البراء، وكان فى ذلك الوقت قاضى الجماعة فأصابه منه حسد كثير، فتوجه إليه ليناظره فلم يقدر على التمكن منه . فقال للسلطان : إن ههنا رجلا من أهل شاذلة سواق الحمير يدعى الشرف، وقد اجتمع إليه خلق كثير، ويدعى أنه الفاطمى ويشوش عليك فى بلادك .

واجتمع السلطان بابن البراء وجماعة من الفقهاء، وجلس السلطان خلف حجاب، وحضر الشيخ، وسألوه عن نسبة مرارا والشيخ يجيبهم عليه والسلطان يسمع وتحذثوا معه فى العلوم كلها فأفاض عليهم بعلوم أسكتهم بها، فما استطاعوا أن يجابوه عنها . فقال السلطان لابن البراء هذا رجل من أكابر الأولياء، ومالككم به طاقة . فقال له : والله لكن خرج فى هذه الساعة ليدخلن عليك أهل تونس ويخرجوك من بين أظهرهم، فإنهم مجتمعون على بابك، فخرج الفقهاء وأمر الشيخ بالجلوس . ثم دخل على الشيخ بعض أصحابه، فقال له : ياسيدى يتحدثون فى أمرك ويقولون يفعل به كذا وكذا من أنواع الأدب . وبكى بين يديه . فتبسم وقال : والله لولا إنى أتأدب مع الشرع لخرجت من ههنا وأشار بيده، فمهما أشار إلى جهة انشق الحائط . ثم قال له : اثنى بإبريق وسجادتى وسلم على أصحابى، وقل لهم : مانغيب عنكم إلا اليوم خاصة، وما نصلى المغرب إلا معكم إن شاء الله تعالى . فأتاه بما أمره فتوضأ وتوجه إلى الله سبحانه وتعالى .

يقول الأستاذ رضى الله عنه : فهممت بالدعاء على السلطان، فقيل لى إن الله لا يرضى لك أن تدعو بالجزع من مخلوق . فألهمت أن أقول : يا من وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم . أسألك الإيمان بحفظك إيماننا يسكن فى قلبى من هم الرزق وخوف الخلق... إلى إنك على كل شىء قدير .

وكان عند السلطان جارية من أعز جواريه فأصابها فى ذلك اليوم وجع فماتت من ساعتها وأصيب السلطان بسببها، وغسلت فى بيت سكنها وبخروا أكفانها، واشتغلوا بدفنها ونسوا المجرمة فى القبة، فاحترق جميع ما فى القبة من الفرش والملابس والذخائر والأموال وذلك لا يحصى ولا يعد، فعلم السلطان أنه أصيب من أجل هذا الولى . فقام الملك بصحبة أخيه إلى الشيخ، وجعل أخو الملك يقبل يديه ورجليه ويسأله الصبح . فقال له الشيخ : والله إن أخاك لا يملك لنفسه نفعا ولا ضررا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا . كان ذلك فى الكتاب مسطورا . وخرج أخو الملك فى صحبة الشيخ حتى وصل إلى داره . فانظر كيف ألهم الشيخ هذا الدعاء، وببركته رد الله كيد الكائدين فى نحورهم .

(قوله واقرب منى بقدرتك... الخ) يعنى قرب كشف وعيان من غير كيف ولا أين، وتنزل بلا حلول كما قال تعالى (ثم دنا فتدلى) وهو إشارة للتجلى.

وفى البخارى من رواية شريك «دنا الجبار رب العزة» يعنى دُنا يلىق بجلاله وبمجده. والآية واردة فى حق الرسول ﷺ، ولورثته من الأولياء قسط من ذلك، لأن ذلك من معنى القرب والازدلاف الذى مرجع الولاية إليه وإن كانت فيه ﷺ على وجه أتم وأكمل، بل لا يمكن أن تكون ولاية كولايته، ولا قرب كقربه. لكونها على الجملة موهبة رحمانية محصنة، ومحبة اصطناع وتخصيص واختصاص من الله الكريم لعبده المخصوص بقربه وحبه وليس للكسب فيه مدخل، بل أثر من آثار رحمة الله وقدرته. وبقدر انصبغ العبد بذلك النور، وانغمسه فيه، وتحققه به، يبعد من الوسائط، وتتألاً فى عينه الأسباب، ويجد السكينة والطمأنينة إلى رب الأرباب، فلا يركن لسواه، ولا يعتمد إلا عليه.

وفى دعاء لواضع الحزب رضى الله عنه «وهب لى من نور قدرتك ما يطمئن به قلبى كإبراهيم خليلك. أنت إلهى، بك أكون لك، فأسألك بذلك سعادة لا أشقى معها بمطالعة غيرك، إنك على كل شىء قدير»^(١).

وفى بعض توجهاته أيضاً «يا سميع يا عليم يا قريب يا مجيب يا محيط يا دائم أنت الله الذى أسمعتنى لذيد خطابك، وتقربت إلى بكشف حجابك، ورحمتنى من حيث أنت بما أردت بإجابتك فوجدتك محيطاً دائماً، فانتفى المحاط به، مع دوامك».

ثم قال «إلهى أنت أقرب إلى من تمييز عقلى، ومن تصديق قلبى، ومن محبة روحى، ومن شهادة سرى، فأعوذ بك من حجابى بصفاتى إلهى

قربك أشتاق إليه من حيث أنت ، فلا تحجبني عنه من حيث أنا ، لا إله إلا أنت ، تقدم من شئت لما شئت بما شئت ، إنك على كل شيء قدير» (١) .

وفى توجه آخر له «جلت أوصافك عن الحدوث ، فكيف أكون معك ؟ وتنزهت عن العلل فكيف أكون قريبا منك ؟ وتعاليت عن الأغيار ، فكيف يكون قوامى بغيرك ؟» اهـ .

وفى الحكم «قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه ، وإلا فمن أين أنت ووجود قربه»

وقال أيضاً : «إلهى ما أقربك منى وما أبعدنى منك» .

وفى دعاء لسيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه «يا قريب ، أنت القريب وأنا البعيد ، قربك آيسنى من غيرك ، وبعدى عنك ردى للطلب لك ، فكن لى بفضلك حتى تمحو طلبى بطلبك يا قوى يا عزيز يا على» اهـ .

* * *

هذا مايسره الله تعالى مما امتن به على عبده من الكلام على بعض فوائد الحزب وأسراره وشرح شيء من مقولاته، وفتح باب من مغلقاته، والله سبحانه ولى الهداية والتوفيق، وهو الهادى إلى سواء الطريق، وصلى الله على نقطة عين الوجود، والسبب فى أصل كل موجود، أكمل خلق خلقته. وأنور نور أشرقته، هادى القلوب بعد الضلال، وسيد النبیین بالتفصيل والإجمال. أحمد الفعل والفعال صلى الله عليه وعلى آله، ماتعاقب الملوان، وسلم تسليما كثيرا، والحمد لله على كل حال.

رِسَالَةٌ

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾

للإمام العالم العارف بالله تعالى
تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم

ابن عطاء الله السكندري

رضي الله عنه وأرضاه

نقلها وراجعها وحققها

محمد عظيم خميس

كنا نرجح صدوره منه، فهو من كبار الشاذلية الذين يواظبون على هذا الحزب، وقد أشار إلى هذا الحزب في كتابه لطائف المنن. والغالب أن رجلا وليا صالحا عارفا بالله تعالى كابن عطاء الله لا يمر على آية الاستهلال لهذا الحزب مروراً عابراً، وإنما يتدبر في ألفاظها ومعانيها، فيفيض الله عليه من الإشراقات، ويفتح عليه من أبعاد المعاني، ما يدفعه إلى كتابة مثل هذه الرسالة، أو إملائها على أحد تلاميذه.

فإذا أضفنا إلى ماتقدم، أن حلاوة أسلوب الرسالة، وسمو عباراتها، ودسامة معانيها، وما فيها من إشراقات وفتح، هي نفس سمات كتابات وكتب ابن عطاء الله، استطعنا أن نطمئن إلى أن هذه الرسالة قد صدرت منه، كما ذكرت دار الكتب المصرية.

والذي جعلنا نقول إن الرسالة منسوبة لابن عطاء الله، أن الجزء الأخير منها، من أول قوله «بصير ببصر، متكلم بكلام.. إلى آخر الرسالة» منقول بحروفه وألفاظه وعباراته عن الرسالة القشيرية من الفصل المعنون «وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم في مسائل التوحيد» والقشيري أسبق من ابن عطاء الله بأكثر من مائتي عام.

هذا كما لاحظنا أنه لم يكن هناك ما يدعونا إلى إضافته هذا الجزء الأخير لهذا البحث، علاوة على عدم وجود ترابط بينه وبين ما قبله من كلام.

والراجع عندي أن ابن عطاء الله، كان يشرح فعلاً ويتكلم عن الآية الكريمة، وكان أحد تلاميذه يكتب ما يملئ أو ما يقول، ثم انتقل الأستاذ إلى الكلام في موضوع آخر، أو انتقل إلى مطالعة جزء من الرسالة القشيرية، دون أن يتنبه الكاتب إلى هذه «النقطة» في الحديث والموضوع.

هذا هو رأيي في هذا البحث، وأسأل الله التوفيق والقبول لي ولكم، والسلام.

محمد عطية خميس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم.

قال الشيخ الإمام العارف المحقق
تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد
ابن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري.

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ
بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

رتب سبحانه وتعالى استحقاق السلام عليهم على مجيئهم للرسول
صلوات الله عليه، وكأنه يقول : إذا جاءوك فسلم عليهم نيابة عني، فإن
سلامك هو سلامي ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ
أَيْدِيهِمْ ﴾ (١).

ثم اعلم أن المجئ إليه ليس معناه الإتيان إليه في زمن حياته، بل معنى
المجئ إليه طاعته وموافقته والإذعان لحكمه والتسليم لأمره، فمن كان
بهذه المشابة فقد جاءه وإن لم يدرك زمنه، لأنه إن فاتته رؤيته فما فاتته
مجيئته، فمن اتبع شرعته ولزم سنته، فهو مبلغ السلام من ربه على لسان
رسوله وإن تطاولت الأعصار، وبعدت الآثار.

فإن قيل فما مناسبة السلام هنا؟ قيل لأنهم لما رجعوا إلى الإنابة بعد
أن كانوا معرضين، وإلى الاستقامة بعد أن كانوا حايدين، علم أنهم
يطالعون ماسبق لهم من المخالفات، ويتذكرون مافعلوه من السيئات،

فيوجب ذلك الوحشة لهم لأجل ما قدموا ولعظيم ما اجترموا فأراد أن يرخى عليهم ذيل الستر والإحسان ويبسط لهم بساط الأمن والامتنان، ففاتحهم بالسلام أئموذجا على ما أعد لهم من الإكرام.

قال بعض العارفين: إنما يسلم عليهم لأنهم كانوا في غيبة سفرة الجفا، فلما قدموا إلى حاضرة الصفا، سلم عليهم لأنهم قد فسدوا إليه، ولأنهم ارتحلوا من نفوسهم إليه، ولأن السلام يدل على وجود الأمان ممن برز منه السلام، فكأنه يقول «إذا جاءوك معتذرين من الخطايا، متوصلين منها، فسلم عليهم نيابة عني سلاما يوجب أمنهم من قطيعة الجفا ومن تكدير مشارب الصفا». وأيضاً فإنهم كانوا قبل مجيئهم إليه تحت قهر نفوسهم، فلما جاءوا للرسول صلوات الله عليه وسلامه، جاءوا لها قاهرين، وعليها منتصرين، فسلموا من جورها، ومن رقائق نكرها، فلذلك سلم عليهم إشارة إلى أن مجيئكم إلينا كانت سلامتكم، وسلامنا عليكم ظهر من كرامتكم، ولأنهم كانوا قبل مجيئهم إليه لنفوسهم مستندين، وعليها معسدين، فوكلوا إليها إذ من توكل عليها وكل إليها. فلما جاءوا إلى الرسول وأنسوا به، جعلهم الله في معاقل صونه، فأيدهم بنصره وأمدهم بعونه. ولأن السلام منه عليهم استجلاباً للمحبة منهم له. قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على أمر إن أنتم فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» (١).

ثم إذ جاء سبحانه بنسبة الإيمان لهم بصيغة تقتضى الدوام والاستمرار والثبوت، فلم يقل: «وإذا جاءك الذين آمنوا». وإن كان محالاً أن يأثوه إلا وقد آمنوا بآيات ربهم، إذ المجئ إليه كما تقدم تقريره ليس إلا

(١) الحديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم. أفشوا السلام بينكم. - (رواه مسلم).

موافقته وطاعته ليدل على أن شأنهم دوام الإيمان وثبوت الإيقان، ولغاية جليلة أيضاً. وذلك أنه لو قال: «وإذا جاءك الذين آمنوا بآياتنا»، لم يكن ذلك متضمناً إلا الإيمان بآيات سبق ظهورها، لئلا يظهره من الآيات بعد ذلك. فلما قال (يؤمنون) أفاد ذلك أنهم يؤمنون بما ظهر لهم وبما لم يظهر لهم إذا حصل ظهوره لأجل ماتم عليه من نور اليقين، ولما بدوا به من قوة التمكين. ومن ها هنا قال صلوات الله عليه وسلامه ذكر أن بقرة فيمن كان قبلهم تكلمت، فقال الصحابة: «سبحان الله!!» متعجبين. فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه «آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر» وهما غائبان^(١).

واعلم أن مطلوب الله منك أن تكون مؤمناً به ومؤمناً له. وإيمانك له فرع عن إيمانك به. لأن إيمانك به أن تؤمن بألوهيته ووحدانيته، وبما يجب له سبحانه، ويستحيل عليه^(٢). وإيمانك له، قبول ما يرد منه وطاعته والانقياد لحكمه. وقد جاء التنزيل مثبتاً للإيمان بالله والإيمان له.

قال الله عز وجل: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٣) أى آمن بحقيقته وثبوتته.

(١) روى البخارى فى باب ما ذكر عن بنى إسرائيل وباب حديث الغار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس فقال: بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث، فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم. فقال: فإنى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وماهما ثم. وبينما رجل فى غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب حتى كأنه استنقذها منه. فقال الذئب: هذا استنقذتها منى، فمن لها يوم السع يوم لا راعى لها غيرى. فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم. قال: فإنى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، وماهما ثم» - ورواه أيضاً مسلم والترمذى.

(٢) الواجب فى حقه تعالى إجمالاً هو اتصافه بكل كمال، وتفصيلاً عشرون صفة هى: الوجود والقدم والبقاء، ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه والوحدانية والقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وكونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً و... كلما. والمستحيل عليه سبحانه، إجمالاً تنزهه عن كل نقص، وتفصيلاً أضداد الصفات العشرين المذكورة.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

وكذلك قوله تعالى : ﴿ كُلِّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (١) .
فأما الإيمان بالله فكما تقدم .

والإيمان بالملائكة هو التصديق بأنهم عباد الله ، وأنهم مكرمون عنده .
والإيمان بالكتب بنسبتها إلى من أنزلها ، وتعظيمها لعظمة من أرسلها .
والإيمان بالرسول أنهم المبشرون والمنذرون عن الله ، والقائمون بأمر
الله . وأما الإيمان له فهو قبول أمره بعد التصديق بوحدانيته وألوهيته .

وكذلك أيضاً واجب عليك أن تؤمن بالرسول وأن تؤمن له . فإيمانك
به أن تعلم أنه رسول الله . وإيمانك له قبولك لأمره وانقيادك لحكمه . وقد
نفى الله سبحانه الإيمان برسول الله إلا لمن آمن له . فقال سبحانه ﴿ فَلَا
وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ
حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) . أى فلا وربك لا يؤمنون بك
حتى يؤمنوا لك . وقد قال الله سبحانه ﴿ فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ (٣) أى انقياد
لحكم إبراهيم وأذعن له . وحكى عن قوم نوح أنهم ﴿ قَالُوا أَنْزِلْ لَنَا
وَأَتَّبِعْكَ الْأَرْضُ لَنْ نَقْبَلَهُ ﴾ (٤) . أى فنكون قد شاركناهم فى الانقياد إليك ،
ونكون قد تبعناهم فى الإيمان لك ، فقد فهمت أن الإيمان بالله غير الإيمان
لله ، وكذلك الإيمان برسول الله غير الإيمان له .

وإذا تكرر هذا فاعلم أن الإيمان هو ثبوت العلم بالله والتصديق
بوحدانيته وألوهيته مع انتفاء الشكوك المعارضة للعلم . وله ثمرة منتجة
وثمررة مستنتجة ، فأما الثمر له فهو بعين الحقيقة هداية الله ، وبمشهد
الشريعة رسول الله . يدل على الأول قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ .
(٢) النساء : ٦٥ .
(٣) العنكبوت : ٢٦ .
(٤) الشعراء : ١١١ .

أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴿١﴾ . ويدل على الثاني قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ . وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ﴿٣﴾ على أحد التفسيرين ، فهداية عباده متوقفة على هدايته سبحانه ، وهدايته سبحانه لا تتوقف على شيء ، إذ له كمال الاقتدار في كل شيء ، والتوقف ينافي الكمال إلا من حيث ما ثبتت الحكمة . والهداية إن أرجعتها إلى تخصيص الإرادة ، فهي لهذا الاعتبار ثابتة في القدم ، وإن أرجعتها إلى النور المنبسط في القلب الذي تتجلى فيه حقائق الأشياء بزوال الموانع والأغيار وانكشاف الحجب والأستار ، فهي بهذا الاعتبار ثابتة فيما لانراه . وهذا النور هو شرط الهداية بدليل قوله تعالى وعز وجل : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ ﴿٤﴾ . وقوله سبحانه : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ ﴿٥﴾ أى من لم يجعل الله له نوراً فى قلبه فما له من نور من دعائك يا محمد .

ولا يعنى بشرطية هذا النور أنه تتوقف عليه القدرة ، فإن التوقف فى القدرة عجز وهو ينافى الكمال الذى ثبت له سبحانه ، ولكنه شرط اقتضته الحكمة . فالذى جاء به رسول الله ﷺ نور ، ولكن لا بد من نور خاص يكون فى القلوب من خفايا ودائع الغيوب ، فإذا تطابق النوران حصل الإدراك كما أن البصير له نور خاص هو متصف به ، وللشمس نور فياض ، فإذا تطابق النوران حصل الإدراك ، فإن كان بصيرا وفقد نور الشمس فقدت الرؤية لفقدان النور الأعم ، وإن كانت الشمس طالعة وهو ليس بصيرا فقدت الرؤية لفقدان النور الأخص .

وقد سبق أن الإيمان هو التصديق ، فاعلم أن التصديق تارة يكون مع

(١) القصص : ٥٦ .

(٢) الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) الرعد : ٧ .

(٤) الأنعام : ١٢٥ .

(٥) النور : ٤٠ .

شهود المصدق به، وتارة يكون مع الغيبة عنه، وهذا نظر كلي.

والطرق التي استند إليها إيمان المؤمنين على ثلاثة أنحاء.

أولها : طريق أهل العموم وهو التقليد، والتقليد هنا العقد الجازم المطابق من غير دليل .

والطريق الثاني : قيام الدليل والبرهان، وهذا طريق أرباب الأفكار والنظر .

والفرقة الثالثة : هم الذين استند إيمانهم إلى شهود وعيان ؛ وهم الراسخون في العلم، وهذا طريق أهل الله، ولذلك قال شيخ شيخنا أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه : «إنا لننظر إلي الله ببصر الإيمان والإيقان، فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان. وإنا لانرى أحدا من الخلق بل فى الوجود أحد سوى الملك الحق، فإن كان ولابد فكالهباء فى الهوى إن فتشته فلن تجد شيئا»

وأرباب الدليل والبرهان عند أهل الشهود والعيان كأرباب التقليد عند أهل الدليل والبرهان. وإنما كان كذلك لأن أرباب الشهود والعيان يقولون لأرباب الدليل :

كيف تستدلون عليه بما مفتقر فى وجوده إليه ؟

متى غاب حتى يحتاج إلى دليل يدل عليه ؟

ومتى فقد حتى تكون الآثار هى التى توصل إليه ؟

أىكون لغيره من الظهور ما ليس له حتى يكون هو المظهر له ؟

أليس سبحانه أسبق الموجودين، فكماله أسبق الموجودين كذلك ؟

ينبغى أن يكون هو المشهود الأول .

ثم يقولون :

إنه أقرب إليك أم الدليل منك هو إليك أقرب ؟ فكيف توصل ما هو

عنك أبعد إلى ما هو منك أقرب؟ أليس من شرط الدليل أن يكون من المدلول أجلى، ولذلك كان يوصل إليه؟ ومن أجل ظهوره وخفى المدلول كان أولى بأن يدل عليه. وأى شيء أظهر منه سبحانه وهو الظاهر في المظاهر، بل هو الظاهر قبل وجود المظاهر، بل الظاهر الذى خفيت لأجل ظهوره المظاهر.

ثم يقولون :

أليس وجودك غنيا عن إقامة دليل يدل عليه أو أثر يوصل إليه؟ فيقال: بلى!! - فيقال: أفيكون وجودك غنيا عن الدليل ولا يكون وجوده غنيا عن الدليل؟ إلى غير ذلك.

ثم اعلم أن الإيمان له أثر ينشأ عنه، وهى الثمرة المنتجة من تعظيم من آمنت به، والحياء من نظره والمسارعة لأمره، والانقياد لحكمه.

ثم اعلم أنه واجب عليك أن تؤمن به سبحانه، وبما يجب له من كمال صفاته.

وصفاته الحسنى هى سميات أسمائه الحسنى. فواجب عليك أن تؤمن بكمال ذاته وكمال صفاته، وكمال أسمائه وكمال أفعاله. فإذا آمنت به وبأسمائه، كان كل اسم من أسمائه يقرر الإيمان منك به، يقتضى أثرا خاصا لا يقتضيه الاسم الآخر. ولذلك كانا اسمين.

فإذا آمنت به (مجيبا) ^(١) فحرام عليك أن (تدعو) ^(٢) غيره. وإذا آمنت به منتقما فواجب عليك أن تكون لمعصيته مجانبا.

ولأجل أن الإيمان له أثر فى القلب ينشأ عنه، من زهد فى الدنيا،

(١)، (٢) هاتان الكلمتان غير واضحتين قراءة فى الأصل المخطوط، ولكن يغلب أنهما كما كتبناهما.

وإقبال على الآخرة، وحياء من المولى، ومراقبة له فى السر والنجوى، قال رسول الله ﷺ حارثة. «كيف أصبحت يا حارثة؟». فقال: «أصبحت مؤمناً حقاً».

فقال رسول الله ﷺ: «لكل حق حقيقة. فما حقيقة إيمانك؟».

فقال: «عزفت نفسى عن الدنيا، فاستوى عندى ذهبها ومدرها. وكأنى أنظر إلى أهل الجنة فى الجنة يتنعمون، وإلى أهل النار فى النار يعذبون. وكأنى أرى عرش ربي بارزا. فمن أجل ذلك أسهرت ليلى، وأظمأت نهارى».

فقال رسول الله ﷺ: «يا حارثة عرفت فالزم»^(١).

وفى بعض طرقه «عبد نور الله قلبه بنور الإيمان».

فطالبه الرسول صلوات الله عليه وسلامه بالبرهان الدال على حقيقة إيمانه، لما ادعى ذلك حارثة، يعلمك أن ليس كل صاحب دعوى هى مسلمة له، ولكن لابد أن يقوم عليه من شواهدا ظاهرا، ما يدل على صدقه فيها باطنا. غير أنه إذا لم تظهر الشواهد لنا لم نقطع بكذبه لجواز أن يكون محققاً فى نفس الأمر، ولا يظهر الله عليه شاهداً من حاله، إذ يكون مراد الله فيه اختفاء لا ظهوره وتكون الشواهد ظاهرة عليه، لكن ليس لنا أهلية الاستعداد للنظر لها.

وكان شيخنا أبو العباس المرسى رضى عنه يقول: «إنما قال الرسول صلوات الله عليه وسلامه «لكل حق حقيقة. فما حقيقة إيمانك» فطالبه ببرهان يدل على صدقه فى حاله، يبين لك الفرق بين مقامات الصحابة، ففرق بين مقام الصديق ومقام حارثة فإن الرسول صلوات الله عليه

(١) حارثة هو الحارث بن مالك - والحديث رواه البزار بسند ضعيف عن أنس، والطبرانى فى الكبير وسنده ضعيف أيضاً.

وسلامه قال لأبى بكر: «يا أبا بكر، أتعرف يوم يوم؟». فقال أبو بكر: «نعم والذي بعثك بالحق يارسول الله سألتني عن يوم المقادير، ولقد سمعتك تقول حينئذ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ»^(١). ومطالبه رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ببرهان يدل على صدقه في دعواه، فإن عظيم منزلته يأبى ذلك^(٢). وانظر رحمك الله إلى فقه حارثة وفهمه، كيف ذكر الزهد في الدنيا وهو الأمر الملتزم بحقيقة الإيمان، والتحقيق بحقائق الإيمان، فلذلك قال: «عزفت نفسى عن الدنيا» فالزهد إنما هو ثمرة الإيمان، أو من آمن بالله حق الإيمان، وأيقن بما أخبر به حق الإيمان، زهد في الدنيا، إذ اليقين مقتضاه الكشف، إذ محال أن يكشف لهم عن تلك الدار ثم يقبل بهمته على هذه الدار. ثم ذكر السبب المقتضى بحقيقة الإيمان عنده وهو مطالعته فقال: «كأنى انظر إلى أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون». إلى آخره إشارة إلى أن مطالعته أوجبت إيمانه، وإيمانه أوجب زهده. وكان شيخنا رضى الله عنه يقول: «ليس الشأن من وصل بطاعة الله إلى كرامة الله، إنما الشأن من وصل بكرامة الله إلى طاعة الله». كحارثة أشهده الله العوالم الغيبية، ثم كانت طاعته ناشئة عن مطالعته. فلذلك قال: «من أجل ذلك أظمأت نهارى وأسهرت ليلى». وقد جمع حارثة رضى الله عنه بين السبب الذى كان عنه الإيمان، وبين الثمرة التى نشأت عن الإيمان. والسبب الذى كان عنه الإيمان مطالعته، والثمرة التى نشأت عن الإيمان طاعته. فكانت مشاهدة حارثة سابقة لمجاهدته، وهو غير من تكون مجاهداته سابقة لمشاهدته، والأولى حال المصطفين المجذوبين، والثانى حال أهل الإرادة السالكين.

(١) يوم المقادير أشار إليه الله تعالى بقوله: «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين» الأعراف: ١٧٢.

(٢) أرى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يسأله عن البرهان، لأنه قدم له البرهان بقوله «سمعتك تقول حينئذ... الخ».

ثم انظر إلى قول حارثة: «كأنى انظر». ولم يقل «نظرت»!!

وكان شيخنا رضى الله عنه يقول: «الأولياء يطالعون المثل، والأنبياء صلوات الله عليهم يطالعون حقائق المرئيات، فلذلك قال: «كأنى». وقال رسول الله ﷺ: «رأيت الجنة»^(١) ولم يقل «كأنى».

فإن قلت قد فسرت الإيمان فما الآيات التى هى متعلقة بالإيمان . فاعلم أن الآيات هى العلامات الدالة عليه، فكل ما دل عليه فهو من آياته . وكل شئ دال عليه . فكل شئ من آياته . فلذلك قال بعضهم :

«وفى كل شئ له آية تدل على أنه واحد»

ولكن قد تكون آية أجلى من آية وإن اشتركتا فى مطلق الدلالة عليه . والدليل على ذلك قوله عز وجل : ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾^(٢) دل بمفهومه بل بما اقتضته صيغة المفاضلة أن ثمرة آية صغرى هذه كبراهها ، وإن كان لو لم يخلق البارى سبحانه إلا الجوهر الفرد لدل على ألوهيته ووحدانيته ، وغير ذلك من صفاته .

ثم قال سبحانه : (كتب ربكم على نفسه الرحمة)

اعلم أن (كتب) يقال بالاشتراك على معان .. منها :

كتب بمعنى فرض . قال الله عز وجل : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾^(٣) .

ومنها كتب بمعنى خلق ﴿ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ ﴾^(٤) .

(١) جاء هذا فى حديث المعراج .

(٢) النازعات : ٢٠ .

(٣) البقرة : ١٨٣ .

(٤) المجادلة : ٢٢ .

ومنها كتب بمعنى قضى . ومنه قوله سبحانه : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ (١) أى قضى الله لأغلبن . ومنه قوله سبحانه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ .

ومنها كتب بمعنى الكتابة على بابها : ﴿ وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كِتَابًا بِالْعَدْلِ ﴾ (٢) وقد يكون منه قوله تعالى سبحانه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ لما جاء فى الحديث الصحيح عنه صلوات الله عليه وسلامه : «إن الله لما قضى الخلق كتب كتابا ، فهو عنده فوق عرشه (إن رحمتى سبقت غضبى) ولولا ذلك لهلكتم» (٣) - وفى رواية رحمته تغلب .

وقد تكون حقيقة كتب بمعنى الكتابة ، ومجازا فى الباقي ، لأنه المتبادر إلى الفهم ، والتبادر دليل الحقيقة . فكأنه سبحانه يقول لك : (يا عبدى علمت اضطرابك ، وغلبت شهود مساوئك عليك ، فوعدتك رحمتى ، وما اكتفيت لك بذلك حتى كتبت لك على نفسى كتابا ، لئلا يستولى عليك اليأس من فضلى ، ولئلا يغلب عليك مطالعة عدلى) .

فإن قلت : فما اختصاص هذا الاسم هنا ، فقال (كتب ربكم) ولم يقل إلهكم ولا خالقكم ؟ فاعلم أن الرب هو الربى بالإحسان ، والمتودد لك بالامتنان ، فكأنه يقول الذى رباكم بالإحسان أولا ، هو الذى كتب على نفسه الرحمة آخرا ، ليضم الإحسان إلى شكله ، وليشفع الامتنان بمثله .

فإن قلت : فما هى الرحمة المكتوبة ؟ فاعلم أن رحمته كما قال : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (٤) فلا يحيط بها شيء ، بل هى المحيطة

(١) المجادلة : ٢١ .

(٢) البقرة : ٢٨٢ .

(٣) وروى الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه : إن رحمتى تغلب غضبى .

(٤) الأعراف : ١٥٦ .

بكل شيء . وإليه الإشارة في قوله سبحانه حاكيا على الملائكة صلوات الله عليهم : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ (١) . فكما عم علمه فلم يخرج شيء عن علمه ، كذلك عمت رحمته ، فلم يخرج شيء عن رحمته . وإليه يشير قوله سبحانه : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (٢) . فاستوى برحمانيته على عرشه الذى هو أعظم مخلوقاته ، واندرجت العوالم فى العرش المندرج فى رحمته ، إشارة إلى عموم رحمته ولكن الرحمة العامة ليست المقصودة هنا ، لأنه خصصها ها هنا بالمؤمنين . وتلك رحمة شملت الكافرين والمؤمنين ، وهذه الرحمة التى قال فيها :

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

فلما جاءوا إلى الرسول متصلين ، ومن الخطايا معتردين ، أمره الله بأن يخبرهم بأن الله قد كتب الرحمة لهم ، فأوجبها على نفسه إيجاب فضل وامتنان وتفضل وإحسان ، إذ هو سبحانه لا يجب عليه شيء ، إذ لو وجب عليه شيء للزمه ماوجب عليه ، ولكان فى ذلك حكما عليه .

ثم قال سبحانه : ﴿ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

اعلم أن الله (٤) أرخى على المؤمنين ذيل الإحسان ، وبسط لهم بساط المؤانسة والامتنان ، ومهد لهم مهاد الرحمة ، لما جاءوا مما سبق منهم متصلين ، ومما تقدم منهم معتردين ، أراد سبحانه (٥) بصير يبصر ، متكلم

(١) غافر : ٧ . (٢) طه : ٥ . (٣) الأعراف : ٥٦ .

(٤) فى الأصل « اعلم ان الله لما ، وقد حذفنا « لما ، لأننا نراها زائدة فى الكلام .

(٥) كل ما جاء فى الأصل من بعد كلمة (سبحانه) من أول « بصير يبصر » إلى « وبالله التوفيق » ، وارد فى أول الرسالة القشيرية فى فصل « وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم فى مسائل التوحيد ، إذ جاء فى هذا الفصل .

بكلام، حي بحياة، باق ببقاء.

وله يدان هما صفتان، يخلق بهما مايشاء سبحانه على التخصيص، وله الوجه^(١)، وصفات ذاته^(٢)، مختصة بذاته، لا يقال هي هو، ولا هي أغيار له، بل هي صفات له أزلية، ونعوت سرمدية، وإنه إحدى الذات، ليس يشبه شيئاً من المصنوعات، ولا يشبهه شيء من المخلوقات. ليس بجسم ولا جوهر، ولا صفاته أعراض.

لا يتصور في الأوهام.. ولا يتقدر في العقول، ولا له جهة ولا مكان، ولا يجري عليه وقت وزمان.. ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان.. ولا يخصه هيئة وقد^(٣)، ولا يقطعه^(٤) نهاية وحد، ولا يحله حادث، ولا يحمله على الفعل باعث^(٥)، ولا يجوز عليه لون ولا كون، ولا ينصره مدد ولا عون، ولا يخرج عن قدرته مقدر، ولا ينفك عن حكمه مفطور^(٦). ولا يعزب^(٧) عن علمه معلوم، ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم.. لا يقال له أين ولا حيث ولا كيف، ولا يستفتح له وجود

= قال شيوخ هذه الطريقة مايدل عليه متفرقات كلامهم؛ ومجموعاتها ومصنفاتهم في التوحيد: إن الحق سبحانه وتعالى: موجود، قديم، واحد، حكيم، قادر، عليم، قاهر، رحيم، مرید، سمیع، مجید، رفیع، متكلم، بصير، قدير، حي، باق، صمد. وأنه عالم بعلم، قادر بقدره، مرید بإرادة، سمیع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام.. الخ

راجع الرسالة القشيرية تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ص ٤٥ - وراجع ماكتبناه في تقديم هذا البحث.

- (١) الوجه: الذات.
- (٢) كالعلم والقدرة مختصة بذاته لاتتجاوز إلى غيره، لأنها قديمة وغيره حادث، والقديم لا يتعلق بالحادث.
- (٣) هيئة وقد: كيفية ومقدار.
- (٤) يقطعه: يعدمه.
- (٥) لأنه منزه عن الغرض والعلة، وإن كانت أفعاله لاتخلو من حكمة.
- (٦) مفطور: مخلوق. لأن الله فاطر الخلق، أى خالق الخلق.
- (٧) يعزب: يغيب.

فيقال متى كان، ولا ينتهى له بقاء فيقال له استوفى فى الأجل والزمان، ولا يقال لم فعل، إذ لا علة لأفعاله^(١).. ولا يقال ما هو إذ لا جنس له فيميز بأمارة عن أشكاله^(٢).. يرى لا عن مقابلة، ويرى غيره لا عن ماقلة^(٣)... ويصنع لا بمباشرة ومزاولة.

له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، يفعل ما يريد، ويذل لحكمه العبيد، لايجرى فى سلطانه إلا مايشاء، ولايحصل فى ملكه غير ماسبق به القضاء، فاعلم أنه يكون من الحادثات ما أراد أن يكون، واعلم أنه لا يكون، مما جاز أن يكون ما أراد أن لا يكون..

خالق أكساب العباد، خيرها وشرها.. ومبدع مافى العالم من الأعيان والآثار، قلها وكثرها.. ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه... ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء عليهم السلام، بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه، ومؤيد نبينا محمدا ﷺ بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة، بما أزاح به العذر، وأوضح به اليقين والنكر؛ وحافظ بيضة^(٤) الإسلام بعد وفاته ﷺ بخلفائه، ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه.. عصم الأمة الخنيفية عن الاجتماع على الضلالة، وحسم مادة^(٥) الباطل بما نصب من الدلالة، وأنجز ما وعد من نصره الدين بقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٦)

فهذه تشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز، وبالله التوفيق.

تم



(١) لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون . (٢) أشكاله : أمثاله .

(٣) من مقلة العين .. والمقصود تنزيهه سبحانه عن التشبيه .

(٤) عزه وجماعته . (٥) أصل ومنشأ . (٦) آية ٣٣ من سورة التوبة .

فهرست بموضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة للدكتور عبد الحليم محمود	٥
« حول الأوراد والأحزاب .. وهذا الحزب وهذا الشرح » للأستاذ محمد عطية خميس	١٧
الإمام أبو الحسن الشاذلي في سطور حزب البر	٣٣ ٣٩
شرح حزب البر للشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي تلقى الحزب بالإذن	٥٥ ٥٧
تلقى الشيخ للحزب بإذن من الله وأمر من رسول الله شواهد تلقى الولي بالإذن	٥٩
أقسام الإذن .. تكليفي وتصريفي وتعريفي - بركة الحزب وقت تلاوته - الآيات المتفرقات	٦١ ٦٢
كتب ربكم على نفسه الرحمة آية الاستفتاح « إن الله اشترى »... إلخ .	٦٥ ٦٦
سر الأسرار المانع من الإصرار الفرق بين معصية المؤمن والفاجر	٦٧ ٦٨
كيف حج آدم موسى الجرعة الأولى من دواء النفس الخبيثة (وإذا جاءك) من تقرب إلى الله شبرا - وفرح الله بتوبة عبده المؤمن إنى بالجهالة معروف	٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣
قوله (الر . كهيعص . حمعسق) فائدة للقاء العدو	٧٤
(حمعسق) وزوال ملك أحد أهل البيت	٧٦

الموضوع	الصفحة
خصوص الآيات ومنافعها	٧٧
بركة الحزب كرامة للولى	٧٧
حفظ الساحل ببركة الإمام أبى العباس المرسى	٧٨
حرمة السبعين والثمانية	٧٩
أوائل السور	٨١
قوله وقد سعت كل شىء من جهالتى	٨٢
اعتراف العبد بجهالته	٨٢
سعة علمه ورحمته سبحانه - دعوات المكروب - دعاء	٨٣
فاطمة الزهراء - العافية ومعناها	
لفظ الجلالة وحظ العبد منه	٨٤
قوله : واكسنا كسوة تقنا ..	٨٥
أصدق كلمة قالتها العرب	٨٥
الفقر والعصمة والعلم والتأييد	٨٧
(قوله ونسألك الفقر مما سواك ...)	٨٨
لماذا كان الفقراء أغنى خلق الله؟	٨٨
لما افتقر أبو الحسن أخذ غنى الدنيا	٨٨
قوله واكسنا جلايب العصمة .. الخ - هل تطلب العصمة	٨٩
من كل الذنوب؟	
العلم اللدنى وكيف تصل إليه؟	٨٩
المرتبة العلمية التى وصل إليها الإمام على	٩٠
العلم كالدراهم تضر وتنفع	٩٠
قوله (نسألك التأييد بروح من عندك)	٩٢
هينئا لمن عرفك ورضى بقضائك	٩٣

الموضوع	الصفحة
قوله (بل الويل ثم الويل .. الخ) - الرضا بقضاء الله	٩٤
قوله اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا	٩٥
قوله وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا	٩٦
سلب الولي بغير قطيعة	
قوله تصحبه أنوار محبتك	٩٧
طرد الابتلاء والامتنان	٩٩
روضة الحزب	١٠١
قوله والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال .. الخ .	١٠٢
تابع القرآن يجار من شقاء الدنيا والآخرة	
إحسان الظن بالله إذا تأخرت الإجابة - عز الدنيا والآخرة	١٠٣
قوله كما سألك نبيك محمد ﷺ	١٠٤
قوله اللهم إنى أقدم إليك بين يدي كل نفس .. الخ	١٠٥
قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة	١٠٦
قوله أقسمت عليك	١٠٧
صلاة الحاجة والتوسل برسول الله ﷺ	١٠٨
مالك بن دينار وتوسل العبد بحب الله	١٠٩
التوسل بالأولياء	١١١
قوله أقسمت عليك ببسط يديك .. الخ	١١١
التوسل بصفات الله خاص بالمحبين والمدللين	١١١
خطبة على لبنت أبي جهل	١١١
مقام الخلة والدلال	١١١
قوله ببسط يديك	١١٢
قوله وكرم وجهك	١١٢
حجاب الله عز وجل	١١٢
النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل ليلة المعراج	١١٢

الموضوع	الصفحة
السيد البدوي ولثامه	١١٢
قوله ونور عينك	١١٤
قوله وكمال أعينك	١١٥
قوله لحكمة الحكمة البالغة	١١٦
قوله مع الحياة الطيبة	١١٦
قوله وتول قبض أرواحنا بيدك	١١٦
قوله وحل بيننا وبين غيرك	١١٨
قوله بنور ذاتك	١١٨
المشاهدة والمكالمة والكرامات الثلاث	١٢١
قوله وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة	١٢٢
أبو يزيد يفتش عن أبي يزيد	١٢٢
قوله وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة	١٢٤
قوله واذكرنا إذا غفلنا عنك بأحسن مما تذكرنا . الخ	١٢٤
قوله والطف بنا لطفًا يحجبنا عن غيرك	١٢٤
قوله اللهم إنا نسألك لسانا رطبا . الخ - الكرامات الثلاث	١٢٥
قوله واغننا بلا سبب واجعلنا سبب الغنى لأولياك	١٢٥
قوله وبرزخا بينهم وبين أعدائك	١٢٥
ذو القرنين وأهل التمكين والتصريف	١٢٦
درجة الاتحاد والاتصاف ودرجة الكمالات والكرامات	١٢٧
الجمع . . والفرق . . وجمع الجمع	١٢٧
خاتمة الفرج	١٢٩
دعاء أبي ذر اللهم إنا نسألك إيماننا دائما . الخ	١٣٠
قوله (والمحبة الجامعة)	١٣٠
قوله وفك وثاقنا من المعصية ورهاننا من النعمة	١٣١
قوله وارأف بنا رافة الحبيب بحبيبه	

الموضوع	الصفحة
قوله فالإحسان لا يتفع مع البغض	١٣٥
يؤيد الله الدين بالرجل الفاجر	١٣٥
قصتا بلعام بن باعوراء وبرصيصة	١٣٦
قوله والإساءة لاتضر مع الحب منك	١٣٧
قوله وأسفر وجوهنا بنور صفاتك	١٣٩
قوله ولا أقل من ذلك	١٣٩
هأتذا عبدك	١٤١
قوله يامن هو هو	١٤٢
قوله هو في علوه قريب	١٤٣
وصية عبد السلام بن مشيش إلى أبي الحسن الشاذلي	١٤٣
أشرق نور الله في قلوب أوليائه	١٤٤
قوله يامحيطاً بالليالي والأيام	١٤٥
قوله أشكو إليك من غم الحجاب	١٤٦
قوله وإن ذلك لواقع ماله من دافع	١٤٦
دعاء ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك ..	١٤٧
قوله ولقد شكنا إليك .. الخ وسبق حسن عوائد الله .	١٤٧
قوله فأنا حقيق به	١٤٨
قوله إلا لمن أحسن إليك	١٤٩
دعاء أبي العباس المرسى (كم من حسنة من لاتب لا أجر لها ..)	١٥١
دعاء الحسن بن علي عند باب المسجد	١٥١
رحمتك أهل أن تنالنا	١٥٣
قوله يا هو	١٥٤
قوله إن لم تكن لرحمتك أهلاً أن ننالها	١٥٥

الموضوع	الصفحة
قوله يارباه	١٥٦
قوله يارب	١٥٦
قوله «يامن وسع كرسيه السموات والأرض» وسببه	١٥٧
قوله واقرب منى بقدرتك	١٥٨
رسالة فى قوله تعالى (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام) لابن عطاء الله السكندرى	١٦١

تمت الصهرسة

منتدی سور الازبکیہ

WWW.BOOKS4ALL.NET